

العجائب

سلسلة كتب فلكية شهرياً

والنخل
باسقات
لها طلع
نضيد

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٧ • ربيع الاول ١٤٠٢ هـ • يناير ١٩٨٢ م

● الثمن ●

١٠٠ فلس	الكويت
١٠٠ مليم	مصر
١٠٠ مليم	السودان
ريال ونصف	السعودية
درهم ونصف	الإمارات
ريالان	قطر
١٤٠ فلسا	البحرين
١٣٠ فلسا	اليمن الجنوبي
ريالان	اليمن الشمالي
١٠٠ فلس	الأردن
١٠٠ فلس	العراق
ليرة ونصف	سوريا
ليرة ونصف	لبنان
١٣٠ درهما	ليبيا
١٥٠ مليما	تونس
دينار ونصف	الجزائر
درهم ونصف	المغرب

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هدفها

المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ،
بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل.)
ص.ب « ٤٢٢٨ » بيروت - لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE



كلمة الوعيد

الله أعظم حيث يجعل رسالته

ويذكر أوثق العلماء أن هذا التاريخ يوافق سنة خمسمائة واحد وسبعين لميلاد المسيح عليه السلام . ولد يتيما ، فقد مات أبوه قبل مولده بسبعة شهور ، ولما ولد عهد به إلى مرضعة بدوية هي (حليلة السعدية) حتى بلغ الرابعة ، ثم تولت أمه تربيته بمعاونة مربية هي (أم أيمن) لكنه لم يستمتع بحنان الأمومة طويلا إذ ماتت أمه وهو في السادسة

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله وخاتم النبيين ، ينتمي إلى أسرة عريقة بمكة من قبيلة قريش من فرع بني هاشم ، عرفت بالورع والتقوى أكثر مما عرفت بقوة السلطان ، وينسبه الأثر إلى نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . ويجمع المؤرخون لحياته أنه ولد يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل ،

من شريفات مكة هي (خديجة بنت خويلد) بمهمة تجارية إلى الشام فأنجزها بكامل البيقة وبالغ النزاهة ، مما أكد عندها ذكاءه وأمانته ، فرغبت في الزواج به رغم الفارق المادي الكبير بينهما . ولما فاتحته في ذلك الأمر قبل رغم تباين السن ، فقد كان في الخامسة والعشرين وهي في الأربعين . وذلك لما عهده من حسن اخلاقها وكريم محتدها وكان هذا الزواج فرصة لرفع مستواه المادي . وصدق المولى جل شأنه في قوله : **(ووجدك عائلاً فأغنى)** . ومن ثم أمر الله أن يشكره على نعمة الاغناء بعد العيلة قولاً وعملاً فقال تعالى : **(وأما بنعمة ربك فحدث)** .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه النبيل ، وبصفة خاصة بحيائه الشديد ، وبعده عن اللهو الرخيص وعفته المطلقة .. وفي مشاغله اليومية لم يرتكب عملاً يشينه ، ولم يشترك في عبادة الأوثان ، وكان يجذب اهتمام كل من يتعامل معه ، فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما جعلهم يسمونه بـ (الأمين) .

وبهذه الخصال الحميدة كان محمد صلى الله عليه وسلم وهو في ريعان شبابه يدعى لمجالسة رؤساء القبائل الموقرين في (حلف الفضول) . وكان هذا الحلف المكي يستهدف مساندة الضعفاء ، ورد الظلم عن المظلومين ، وإقرار السلام

من عمره !! فكفله جده (عبد المطلب) وأثره بحنانه وعطفه ، ولكن لم يكد (محمد صلى الله عليه وسلم) يبلغ الثامنة حتى مات جده !! فكفله عمه (أبو طالب) الذي أولاه حبا أبويا خالصا رغم أنه لم يكن ميسور الحال لكثرة عياله .

خرج مع عمه في رحلة تجارية إلى الشام وسنه اثنا عشر عاما ، وهناك رآه الناسك المسيحي (بحيرا) وعندما تحدث معه لاحظ فيه بعض العلامات المنصوص عليها في الكتب المقدسة ، فاقترب من أبي طالب وقال له : (هذا الشاب سيقوم بدور عظيم في العالم ، فأرجعه إلى بلاده ، على عجل ، وإسهر عليه ، واحذر عليه من اليهود الذين قد يؤذونه لو علموا منه ما أعلم) .

وهكذا هياً الله له من آواه وجبر يتمه ، حتى يكون إحساسه بمرارة اليتيم وحلاوة الايواء أساسا لتوجيه الله له باكرام اليتيم والاحسان إليه والابتعاد عن قهره وإذلاله ، (ألم يجدك يتيماً فآوى) .. **(فأما اليتيم فلا تقهر)** .

وقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم شبابه إلى الخامسة والعشرين من عمره في حالة قريبة من الفقر ، فهو لم يرث عن أبيه وأمه إلا أمة سوداء ، وقطيعة من الغنم ، وخمسة جمال ، وكان غالب عمله في تلك الحقبة رعي الغنم .. وقد كلفتة أرملة واسعة الثراء

الحاضرين واستتب السلام بين القبائل .

ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل بعثته على درجة ممتازة من الأخلاق السامية كانت تحيط به جاهلية مضطربة التصورات والعقائد ، منحرفة السلوك والأوضاع ، وما كان يؤنس عنده بعض المعارف المذهبية ، لأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الايمان (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) . ولم يكن حظه أكثر من حظ قومه من حيث معرفة القصص الديني (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) .

ولم يكن في حسبان أنه يكلف بدور المرسل من عند الله (وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) . كما لم يكن يعرف كيف يرشد نفسه إلى الطريق الواضح القويم ، والله تعالى هو الذي أرشده بالوحي (ووجدك ضالا فهدى) .. (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) . ومن ثم أمره الله تعالى أن يكون رفيقا بالسائل في العلم ، وألا يكون جبارا ولا متكبرا ، ولا فظا غليظ القلب (وأما السائل فلا تنهر) .. (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب

بين القبائل ، والتصدي لمن يحاول العبث به . روى ابن اسحاق بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحلف : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت) .

وكان أهم الأحداث التي وقعت بين تاريخ زواجه وتاريخ بعثته وهو في الخامسة والثلاثين اختلاف القبائل - وهم يقومون بترميم الكعبة - على وضع الحجر الأسود في مكانه ، إذ لم ترض قبيلة عن التنازل عن حقها ، وتفاقم النزاع ، وكادوا يمتشقون السلاح . ولكنهم إشفاقا على أنفسهم من ويلات الحرب وآثارها عقدوا اجتماعا أخيرا قرروا فيه أن يحتكموا في هذا الموضوع إلى أول شخص يدخل عليهم من باب بني شيبه .. وشاءت الأقدار أن يكون الشخص الداخل (محمدا) فلما رأوه صاحوا مبتهجين : (الأمين . الأمين) وعرضوا الأمر عليه ، فأسرع - بذكائه ونزاهته - بأن بسط رداءه على الأرض ، ووضع بيديه الحجر الأسود وسط الرداء ، ثم طلب إلى رؤوساء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف من أطرافه ، وأن يرفعه معا إلى المستوى المطلوب . وعندما وصلوا بالحجر إلى المكان المخصص له أخذ محمد صلى الله عليه وسلم الحجر بنفسه ووضعه مكانه ، فساد الرضا بين جميع

لأنفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا
عزمت فتوكل على الله إن الله يحب
المتوكلين) .

لقد نزل الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين
من عمره ، وكان نزوله منجما ومجزءا
على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فبلغ
الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح
للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ،
وأقام الدولة الإسلامية - كما أمر
الله - على قواعد الحق والعدل ،
والنظافة والطهر ، والتقدم
والنهوض ، وبذلك أوجد الحضارة
الإنسانية الفذة التي يعيش الناس في
ظلالها آمنين مطمئنين ، يقدمون الخير
ويعيشون فيه ، ويكافحون الشر ،
ويؤمنون عنه . وصدق الله تعالى في
قوله : (وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين) .

ولقد شهد أعدى أعداء الإسلام
أبو سفيان بن حرب قبل أن يسلم
بسنتين بنقاء نسب الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم وأمانته وصدقه ،
وما تحمله دعوته من مكارم . وذلك في
إجاباته على أسئلة (هرقل) عظيم
الروم حين استدعاه ليسأله عن هذا
الرسول الذي أثار دهشته بكتابه الذي
يدعوه فيه إلى الإسلام .. وأنا لنرى في
تعليق (هرقل) على إجابات أبي
سفيان راحة العقل وسعة الأفق ،
وأن العقول السليمة متى سلمت من

الأمواء المضلة فانها تهتدي إلى الحق
وتسلك سبيل الرشد .
أمر (هرقل) ترجمانه أن يقول
لأبي سفيان :

سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم
ذو نسب . فكذلك الرسل تبعث في
نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا
القول قبله فقلت : لا ، فلو كان أحد
قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي
بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملك
فذكرت أن لا . فلو كان من آبائه من
ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ما قال فقلت : لا . فقد
أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على
الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم
ضعفائهم فذكرت أن ضعفاءهم
اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

وسألتك أيزيدون أم ينقصون
فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر
الايمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه
بعد أن يدخل فيه فقلت : لا . وكذلك
الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .
وسألتك هل يغدر ، فقلت : لا .
وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه
يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ،
ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

وسلم أن يتدبروا قول الله تعالى :
(فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك
على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك
ولقومك وسوف تسألون) . وقوله
جل شأنه : (لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

وهل للعالم المضطرب بالأنواء
الجانحة عن العدل ، المفعم
بالأنانية وحب الذات ، المولع
بالتحكم في أمور المستضعفين ، هل
لهذا العالم أن يفيء إلى رحاب
الاسلام طلبا لحل المشاكل التي
تقض مضجعه وتقلق راحته
وانتماسا لرحمة الله وفضله ،
واستجابة لندائه السامي ، (يا
أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وأنزلنا إليكم نورا مبينا . فأما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه
صراطا مستقيما)

إنا لنرجو ونأمل .. والظلام
المخيم لن يزيدها إلا تفاؤلا ، فليس
بعد سواد الليل إلا صبح مشرق ،
وليس بعد الأزمت الخانقة إلا فرج
قريب ، ولا يأس مع الايمان (إنه لا
ييأس من روح الله إلا القوم
الكافرون) .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري

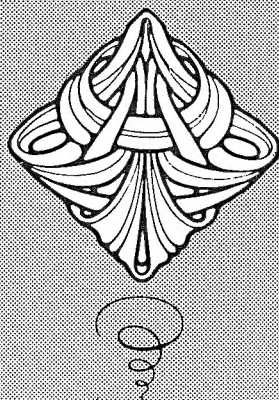
فان كان ما تقول حقا فسيملك
موضع قدمي هاتين .. وقد كنت أعلم
أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ،
فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه
لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده
لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
بعث به إليه فقرأه .

يقول أبو سفيان : فلما قال
(هرقل) ما قال وفرغ من قراءة
الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت
الأصوات وأخرجنا . فقلت
لأصحابي - حين أخرجنا - : لقد أمر
أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني
الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر
حتى أدخل الله على الاسلام .

هذا محمد بن عبدالله بن
عبدالمطلب الذي أرسله الله شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه
وسراجا منيرا ، فأخرج الناس من
الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى
صراط العزيز الحميد .

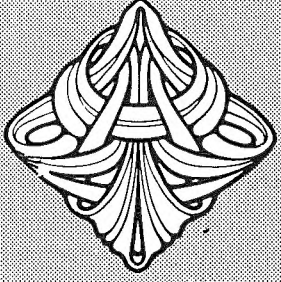
هل للمسلمين - وقد نزلت بهم
المحن نتيجة الابتعاد عن هداية
الله - أن يعودوا لمنهج الحق الذي
أنزله الله وبينه رسوله ، وأن
يدركوا أن أي اتجاه لغير طريق
الاسلام اتجاه ضال تشقى به
الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم
ولا تنهض ؟؟ وهل لهم وهم في ذكرى
مولد رسول الله صلى الله عليه

وَإِنَّا لَنَزَّلُنَا



وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

لهج كثير من المبشرين والمستشرقين وغلوا في معاداة الاسلام والكيد له ، وتأثر بهم بعض المستغربين من الشرقيين وبعض ضعفاء الايمان من المسلمين ، فادعوا ان القرآن الكريم من تأليف محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا ان اسلوب السور المكية غير اسلوب السور المدنية ، لان محمدا في زعمهم تأثر باليهود في المدينة وما توارثوه من حضارة وفلسفة وتاريخ ومنطق وقالوا ان هذا يتجلى في الآية الكريمة : « **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** » الانبياء / ٢٢ فهي قضية منطقية لها مقدمة ونتيجة عقلية ، وما كان محمد ليقولها في مكة حيث كان يعيش بين قوم اميين تفشت فيهم الجهالة والسذاجة - وفات القائلين ان الآية وردت في سورة الانبياء وهي سورة مكية كما في جميع المصاحف وفي كتب العلوم القرآنية



رب العالمين

للاستاذ / علي عبدالعظيم

إِنَّهُوَ الْوَاحِدُ الْيُوحَى

كالبرهان للزركشي والاتقان في علم القرآن للسيوطي وان جميع آيات السورة مكية .
ومن الخير ان نسوق الادلة العقلية والبراهين المنطقية التي تقر ان القرآن الكريم
ليس من صناعة محمد ولكنه : « تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين »
الشعراء / ١٩٢ ، ١٩٣ تثبيتا للايمان في نفوس ابنائنا الشبان ودحضا للشبهات
والافتراءات ، فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة وعليه الاعتماد .

اولا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرأ ولا يكتب (وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبتطلون) العنكبوت / ٤٨ فما
دخل كلية من الكليات ولا جامعة من الجامعات ومع ذلك جاءنا بتشريع دستوري

كامل اصيل ، عالج فيه شؤون الرجال والنساء والافراد والجماعات وشرع للامة العربية والامم الاخرى ، ونظم حالات السلم والحرب ، وتناول الوصية والميراث والبيع والشراء والفضائل الخلقية ، كما تناول حقوق الانسان التي لم يعرفها العالم الا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب الحرب العالمية الثانية بعد حوالي ١٤ قرنا من ظهور الاسلام ، وقد اثبت التطبيق العملي لهذه الشريعة صلاحيتها التامة لكل زمان ومكان في جميع البيئات والظروف والملابسات وقد ساد المسلمون العالم يوم تمسكوا بهذه الشريعة الغراء وما تخلفوا الا حين تخلوا عنها وافتتنوا بالشرائع البشرية وعملوا بها . واصدار قانون تشريعي الآن يحتاج الى عدة لجان لدراسته يتم عرضه على مجالس النواب ثم على مجالس الدولة ثم على وزارات العدل لمختلف الشعوب . وعند عرضه للتطبيق العملي يتضح ما فيه من عيوب تتجاف به عن العدل المنشود ، فيعاد فيه النظر مرات ومرات من كبار المشرعين .

فرجل واحد مثل محمد لم يدرس الشرائع والقوانين ولم ينل قسطا من الثقافة القانونية ثم يجيئنا بهذه الشريعة الغراء ، دليل على انها ليست من صناعته وانما هي تنزيل رب العالمين .

ولقد اعترف كبار رجال القانون في العالم بأهمية هذه الشريعة الغراء واصالتها وصلاحيتها للتطبيق في مختلف الامم والشعوب ، حيث اصدر مؤتمر القانون الدولي في لاهاي بهولندا سنة ١٩٣٧ قرارا بان الشريعة الاسلامية شريعة اصيلة كاملة متكاملة ، وأهاب بالدول الاسلامية ان تقن هذه الشريعة ليتسنى الانتفاع بها للدول الاخرى ، وتكررت هذه التوصية في عدة مؤتمرات قانونية دولية متوالية مؤلفة من جهابذة رجال القانون في العالم كل عشر سنوات .

ثانيا : تناول القرآن الكريم صفحات من تواريخ الامم السابقة للاسلام لم تكن معروفة لا يغالها في القدم ، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤرخا ولا ملما بدراسة اللغات القديمة كالهيروغليفية والحميرية والعبرية وغيرها ولا كان احد من العرب يعرف هذه الاحداث التاريخية : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » هود / ٤٩ .

ونستطيع ان نضرب مثلا بقصة ملكة سبأ التي وصفها القرآن الكريم بأنها (أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) النمل / ٢٣ وقد اثبتت الدراسات التاريخية ازدهار هذه الملكة وان حضارتها كانت تضارع حضارة قدماء المصريين وان اهلها برعوا في اقامة السدود المائية العظيمة والقنوات العديدة الممتدة منها الى جميع ربوع المملكة بحيث يسير المسافرين في جميع الطرق فيجد الحدايق الغناء تحف به من يمين وشمال : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) سبأ / ١٥ .

ان محمدا النبي الامي لم يصف هذه الحضارة من عند نفسه وانما هو تنزيل رب

العالمين، نزل به الروح الامين .

ويعقب القرآن الكريم على بعض الأحداث بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشهدا وما كان له ان يشهدا لتطاول القرون ولكن الله اوحاها اليه ، فيعقب على قصة يوسف وكيد اخوته له بقوله تعالى : (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكرون) يوسف / ١٠٢ .

ويعقب على قصة موسى عليه السلام بقوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتتذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) القصص / ٤٤ - ٤٦ .

ويعقب الله سبحانه وتعالى على اقتراح كنهة بني اسرائيل على ايهم يفوز بكفالة السيدة مريم العذراء فيقول تعالى : (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) آل عمران / ٤٤ .

ثالثا : الانباء بالماضي السحيق قد تتناوله الألسنة فينتقل من جيل الى جيل اما الانباء بالمستقبل القريب او البعيد فهو فوق طاقة البشر - وقد حفل القرآن الكريم ببعض الانباء الآتية وتم وقوعها طبق الاصل على مدى قريب او بعيد فمثلا حدث في غزوة بدر وكانت قريش اكثر من المسلمين عددا واوفر عدة وامضى سلاحا ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اشرف عليهم وهو يتلو قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) القمر / ٤٥ وما هي الا ساعات قليلة حتى انهزمت قريش وولت الادبار فمن انبا محمدا بهذه النتيجة قبل وقوعها ومن أدراه ان الامر ربما كان على غير ما اعلنه :

وحينما التحمت الامبراطورية الفارسية بالامبراطورية الرومانية وهزمتها هزيمة ساحقة بقيادة سابور ملك الفرس فرح المشركون فرحا شديدا لانهم جعلوا هذه النتيجة انتصارا للوثنية التي تمثلها الامبراطورية الفارسية على اهل الكتاب الذين يمثلهم الرومان وحزن المسلمون - وكان المؤرخون يرون الهزيمة ساحقة وانه لا سبيل لانتصار الروم الا بعد عشرات السنين فنزل قوله تعالى : (ألم . غلبت الروم . في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده) الروم / ١ - ٦ روى الترمذي : « ان المشركين لما سمعوا هذه الآيات قال اناس منهم لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، افلا تراهنك على ذلك ؟ قال : بلى - وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابوبكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين الى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطا نحتكم اليه قال فسموا بينهم ست سنين فمضت ست السنين قبل ان يظهر الروم فأخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على

فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فمن اعلم ه حمدا صلى الله عليه وسلم ان الروم ستظهر على الفرس في بضع سنين بعد ان هزمهم الفرس هزيمة ساحقة واضطروا ملكهم هرقل الى اللجوء الى القسطنطينية وحاصروهم فيها مدة طويلة ولم يكن يخطر ببال انسان ان الروم سيهزمون الفرس في هذه الفترة اليسيرة .

وفي صلح الحديبية عاد المسلمون الى المدينة بعد ان تعهد المشركون لهم بتمكينهم من اداء العمرة بالمسجد الحرام في العام التالي ولم يكن احد يدري أيوفون بالعهد ام ينقضونه ؟ فنزل قوله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) الفتح / ٢٧ . والخبر في الآية مؤكد بلام القسم ونون التوكيد فمن ادري محمدا ان المشركين سيسمحون له ولاصحابه بالعمرة ومن اعلمه ان العمرة سيعقبها فتح قريب هو فتح مكة ، قد ينقض المشركون عهدهم ويغدرون وطبيعتهم الغدر ، ولكن الآية تؤكد ما يحدث بعد عام تأكيدا جازما وليس ما فيها من عند محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه تنزيل رب العالمين-نزل به الروح الامين .

رابعا : لو كان القرآن الكريم من تأليف محمد لجارى فيه ميوله واهواءه ولم يخالفهما ولكن القرآن الكريم جزم بما يناقض ميوله صلى الله عليه وسلم فقد كان يود من صميم قلبه ان يسلم عمه ابوطالب ولكن القرآن الكريم صدمه بما يعارض رغباته فقال تعالى : (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) القصص / ٥٦ فقد ثبت في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا طبيعيا لا شرعيا - قال الزهري : حدثنا سعيد بن المسيب عن ابيه : « لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل بن هشام وعبدالله بن ابي امية بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبدالله بن امية : يا أبا طالب اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان اخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب وابي ان يقول لا اله الا الله وقد جاء القرآن الكريم بما يناقض رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين) .

ومن الامثلة الواقعية على مناقضة القرآن الكريم لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه من عبدالله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة فقد كان يهادنه على الرغم من نفاقه . مجاملة منه صلى الله عليه وسلم لابنه الصحابي الجليل القوي الايمان عبدالله . وحدث ان استأذن هذا الصحابي الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في ان يقتل اياه لنفاقه قاتلا : « انا ابر الناس بأبي يا رسول الله والانصار

جميعا يعلمون هذا ، ولكنه منافق يكيد للاسلام واخشى ان يقتله احد المسلمين فتأخذني العزة بالاثم فأقتله ، فاقتل مسلما بكافر فيكون مصيري الى النار فأذن لي ان اقتله انا) فنهاء النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان الاسلام لا يبيح قتل من نطق بشهادة التوحيد ولو نطقها نفاقا .

وحدث ان عبدالله بن ابي كاد في احدى المواقع ان يثير فتنة بين المهاجرين والانصار حين تخاصم غلام لأحد المهاجرين مع غلام لأحد الانصار ، فاستغاث الاول بالمهاجرين واستغاث الثاني بالانصار ؛ فانتهزها عبدالله بن ابي فرصة وقال لقد صدق المثل : « سمن كلبك يأكلك » لقد اويننا المهاجرين واكرمناهم فاستطالوا علينا ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وبلغت هذه القالة ابنه عبدالله فاننتظره خارج المدينة حتى عاد وامسك بتلابيبه ، واقسم الا يمكنه من دخولها حتى يعترف بان العزة لله ورسوله والمؤمنين فاضطر الى الاعتراف بهذا - فلما مات حزن ابنه عبدالله عليه حزنا شديدا وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم باكيا ورجاه ان يستغفر لابييه وان يعيره قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه . قال البخاري : « ... فأعطاه القميص ثم قام ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهك ربك ان تصلي عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انما خيرني الله فقال : (استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال عبدالله بن عمر قال : فصلى عليه وصلينا معه وانزل الله قوله (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ومن المعروف ان الصلاة على الموتى استغفار لهم .

وجاء القرآن الكريم مناقضا لميول النبي صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين .

خامسا : لو كان القرآن من تأليف محمد بن عبدالله ما ورد فيه العتاب الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم في مواقف عديدة مثل موقفه صلى الله عليه وسلم من ابن ام مكتوم الاعمى فقد ذكر لفيف من الرواة الثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينادي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب من زعماء قريش - وكان يطمع في اسلامهم واسلام عدد من اتباعهم باسلامهم فاقبل اليه رجل اعمى يقال له عبدالله بن ام مكتوم وهو يناديهم ، فقاطع النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، علمنى مما علمك الله ، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم وظهر العبوس على وجهه فليس من الآداب المرعية في الاحاديث ان تقاطع من يتحدث الا لضرورة وابن ام مكتوم لم يشاهد العبوس ، فعاتب الله رسوله في هذا الموقف عتابا شديدا فان ابن ام مكتوم لم ير العبوس ولكن الله رآه قال تعالى : (عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى) عبس / ١ - ١٠ فأكرم النبي

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآيات ابن ام مكتوم وكان يقبل عليه ويحتفي به ويكرمه حين يلقاه قائلا « اهلا بمن عاتبني ربي فيه » وكان يوليه احيانا حكم المدينة حين يغادرها في احدى غزواته .

ومن مواقف عتاب الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث في موقفه من زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول وزوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية وكانت جميلة حسية ، وزيد كان عبدا رقيقا اشتريته السيدة خديجة واهدته الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ليقوم على خدمته ، وكان أبوه شيخ قبيلة ولكن تجار الرقيق اختطفوا زيدا وباعوه في الاسواق ، فانتقل من يد الى يد حتى اشتريته خديجة واهدته الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقام على خدمته ، وطلبه أبوه وعمه كعب حتى جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالا له يا ابن عبدالمطلب ، انك رجل كريم وابننا عندك وقد جئنا لنفتديه بما تطلب من الفداء فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فقال من هو ؟ قال زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا غير ذلك ؟ قال ما هو ؟ فقال : ادعوه وخبروه ، فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني احدا فقالا : قد زدتنا على الانصاف واحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرف هذين ؟ قال نعم ، هذا ابي وهذا عمي قال : فانا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني او اخترهما قال زيد : ما أريد هما وما انا بالذي اختار عليك احدا ، أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اختار العبودية على الحرية ؟ وعلى ابيك واهل بيتك ؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي اختار عليه احدا ابدا ، فلما رأى النبي ذلك اخرج به الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه ، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا ، وبعد هذا منع القرآن عادة التبني قال تعالى : (ادعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله) الاحزاب / ٥ وكان من عادة العرب الا يتزوج الرجل امرأة من تبناه . ولكن الله اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يكون قدوة في نقض هذه العادة فيتزوج امرأة زيد ، « السيدة زينب بنت جحش » .

وكانت في اعتزازها بحسبها تبدو منها بواذر تسيء زيدا فيشكو الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : (أمسك عليك زوجك) واتق الله وهو يعلم ان الله قد جعلها من نسائه فنزل قوله تعالى معاتباً رسوله : (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أديانهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا) الاحزاب / ٣٧ .

ويخترع المبشرون والمستشرقون اكاذيب ينسبون فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم مفتريات يتخذونها وسيلة للطعن في عصمته ، فقد ذكروا ان نظره وقع على زينب في بيت زوجها فعشقها وقال : « سبحان مقلب القلوب » واحس زيد ذلك

فعرض على الرسول ان يطلقها فقال له : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفها منذ نشأتها معرفة صادقة وكان يستطيع ان يبني بها وهي عذراء فلا يترقبها حتى تصبح ثيبا ، وهي قد تزوجت زيدا على مضض منها ومن اسرتها ، ولولا رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في اتمام هذا الزواج ما تم . وزيد هو الذي كان يلح في تطليقها وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستمهله وينصحه بالتمسك بزوجه .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتّم » هذه الآية : (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) رواه البخاري ومسلم .

وما كان له ان يكتّم شيئا لان القرآن من عند الله وليس من عنده ، وانما هو (تفزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين)

ومن الوان العتاب العديدة التي وردت في القرآن الكريم موجهة من الله الى رسوله وكان الرسول يستطيع اخفاءها لو كان من تأليفه ولكنها وحي يوحى ، من هذه الالوان ما قرره القرآن الكريم في موضوع اسري بدر حيث قال تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) الانفال / ٦٧ و ٦٨ والعتاب هنا قائم على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليه ان يمعن في قريش تنكيلا حتى يكسر شوكتهم ويوهن قوتهم وحتى لا يعودوا الى حربه مرة اخرى ، وكان من رأي ابي بكر العفو عن الأسرى واخذ فدية منهم ، وكان رأي عمر ضرب اعناقهم . وجمهرة المفسرين على ان القرآن الكريم وافق رأي عمر مع ان القرآن الكريم يقول ان الاثخان في الارض ينبغي ان يتم قبل الاسر قال تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَأَمَامَنَا بَعْدُ وَأَمَا فَدَاءُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) محمد / ٤ واذا كان هناك من وافقت الآية الكريمة رأيه فهو سعد بن معاذ فقد كان يكره الأسرى قبل الاثخان فلو كان القرآن من صناعة محمد ما وجه فيه هذا العتاب الشديد الى نفسه ولكنه (تفزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين) .

سادسا : كشف الاحداث الغيبية فقد حدثت بعض الامور بالغ اصحابها في كتمانها ولكن القرآن الكريم كشف عنها الستار واطلع الرسول واصحابه على ما خفي من الامور فقد حدث ان بني ابيرق وهم قوم ضعفاء الايمان نقبوا دارا لرفاعة ابن زيد وسرقوا ادراعا له وقيل ان السارق هو بشير بن ابيرق وحده ، دون اخوته ، ورفع الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما علم السارق بذلك عمد الى الدروع فالقاهما في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبتها والقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا وقالوا يا نبي الله ان صاحبنا بريء وان صاحب الدروع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فنزل قوله تعالى : (اِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ان يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا . ومن يكسب إثمًا فانهما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا . ولولا فضل الله عليك ورحمته لهتمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضررونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) النساء / ١٠٥ - ١١٣ .

وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم ما تم في الخفاء لولا ان الله اطلعه عليه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما فما كان القرآن الكريم من تصنيفه وانما هو (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين) . ومثل هذه المواقف تعددت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حدثت مفاداة الاسرى عقب غزوة بدر ، وكان من بينهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان غنيا ، ولكنه تظاهر بالفقر طمعا في اقلال الفدية واطمعه في ذلك لين الرسول صلى الله عليه وسلم ، فادعى انه اسلم من قبل وانه حضر الغزوة مع قريش مكرها لا محاربا ، فقال صلى الله عليه وسلم اما ظاهرك فكان علينا والله اعلم باسلامك وسيجزيك خيرا ، فادعى انه لا مال عنده يفدي به نفسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذي اودعته ام الفضل وقلت لها لو اصبحت في سفري هذا فهذا لبني : الفضل وعبدالله وفتح فقال العباس : والله اني لاعلم انك رسول الله ، ان هذا الشيء ما علمه الا انا وام الفضل ، فاخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة اوقية من الذهب فداء له ولابني اخيه عقيل ونوفل ولحليفه عتبة بن عمرو ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه الاسرى وفيهم جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق وجاء ابوها يطلب فداءها ونظر للابل التي جاء بها للفداء فرغب في بيعين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم جاء الى النبي فقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا ؟ فقال الحارث : اشهد ان لا اله الا الله وانك يا محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى وحده ، فكيف علم محمد بهذا الامر ان الله علمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما وما كان القرآن الكريم من تأليفه ولكنه (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين) .

سابعاً : ما من كتاب مهما بلغت روعته ، حفظ لغته من الانتثار كما حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فان اللغة العربية ظلت لغة حية نحو الفي عام مع انها تعرضت لاحداث عنيفة كادت تقضي عليها وبخاصة في عصر المماليك والاتراك ،

ونحن نعلم ان عباس الاول حاكم مصر حظر على طلبة الكلية الحربية ان يتحدث احدهم باللغة العربية ومن فعل الجمه بلجام عقابا له وسخرية منه طيلة يومه ، كما تعرضت العربية لغزوات التتار والفرنسيين والأتراك .
ومن طبيعة اللغات ان تتعرض للتغيير والتبديل كل مائتين او ثلاثمائة من الاعوام ، فقد انقسمت اللغة اللاتينية الى بضع لغات تخالف اصولها مخالفة تامة ، والانكليز المعاصرون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة شكسبير الانكليزية والفرنسيون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة كورني وراسين الفرنسية ، والايطاليون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة دانتي الايطالية مع اننا نقرأ لغة التعليقات في العصر الجاهلي فنفهمها ونتأثر بها ونسمع قول عنتره .

ولقد ذكرتكم والرماح نواهل منى وببيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فنفهم عنه وننفعل معه ونشاركه في عواطفه الوجدانية لان اللغة هي اللغة ، واللغة العربية الان مزدهرة اعترفت بها هيئة الامم وجعلتها من اللغات العالمية الرسمية السائدة الان ، ويتحدث بها اكثر من مائة مليون عربي ويعبد الله بها نحو الف مليون من المسلمين يرددونها خمس مرات يوميا ، وما تم هذا الا بفضل القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر ٩ .

وما حفظ لنا اللغة العربية الا القرآن الكريم لانه : (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين) وحسب القرآن الكريم اعجازا انه فرض نفسه على محطات الاذاعة الاجنبية غير الاسلامية تذييعه في مستهل ارسالها وفي نهايته ، وليس ذلك بقوة العرب ولا بسيطرتهم ، وانما لما لهذا الكتاب الكريم من مكانة ومنزلة لا تدانيهما منزلة أي كتاب آخر من صناعة البشر لانه : (كتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت / ٤١ و ٤٢ .
والدارسون للغات يعلمون أن أكبر كتابها لا يستعملون من مفرداتها اكثر من ٥٪ خمسة في المائة ، وطبقوا هذا على شكسبير في اللغة الانكليزية ، وهو أكبر شعرائها وعلى غيره من الكتاب والشعراء .

اما القرآن الكريم فقد تناوله الدكتور علي حلمي موسى الاستاذ بكلية علوم عين شمس ، وأجرى تجربة فيه يحدثنا هو عنها قائلا « يعتبر القرآن الكريم من الناحية اللغوية قمة الاعجاز إن أي دراسة للقرآن تعطينا كنوزا وتفسيرات أوضح وأكبر وتثبت للعالم ان الدين لا يتعارض مع العلم بل يؤكد ... لقد قمت بتغذية الكمبيوتر بالالفاظ الموجودة في القرآن الكريم ... وتم شحن كل ذلك في ذاكرة الكمبيوتر بترتيب مخصوص ونظام معين واخترت معجم الصحاح ليكون الجهة الاخرى من المقارنة لانه يعتبر من أدق المعاجم في العربية الى جانب قربه من عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أثبتت الدراسات ان القرآن الكريم استخدم ٣٠٪ ثلاثين في المائة من ألفاظ اللغة العربية وهذا يعتبر اعجازا لغويا كبيرا فان اغنى ادباء وشعراء العالم مثل شكسبير او العقاد لم يستخدموا سوى ٥٪ فقط من لغتهم ... كما ان الألفاظ التي استخدمت مرة واحدة في القرآن الكريم بلغت ٣٧٤ لفظا وهذا ايضا من الاعجاز اللغوي ...

كما أثبتت الدراسة أن لفظ الجلالة (الله) أكثر الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم ثم كلمة (رب) تليها كلمة (آمن) واعتذر الدكتور علي حلمي موسى عن عدم قيامه بدراسة تفسيرية لهذه النتائج التي انتهت اليها العقل الالكتروني بأنه يكفي بان يضعها امام علماء الدين المشتغلين بالدراسات القرآنية . فلو كان القرآن الكريم من صناعة محمد ما زادت الاصول اللغوية فيه عن ٥٪ من متن اللغة العربية ولكنها ارتفعت الى ٣٠٪ لانه (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين) .

ثامنا : العصمة من الناس :

روى الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم وابن جرير عن السيدة عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت الآية : (والله يعصمك من الناس) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله . »

فلو كان القرآن من صناعة محمد ما أطمأن الى هذه الآية ولا صرف الحراس عن حراسته ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين فاطمأن الى وعد الله كل الاطمئنان وقد حفظه الله وعصمه من اليهود الذين دسوا له السم في شاة مذبوحة ، فنطقت واخبرته أنها مسمومة فامتنع عن أكلها وذلك بخبير (راجع صحيح البخاري في كتاب المغازي) .

وأخرج الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الغزوات أنه استظل بشجرة ونام تحتها ونام أصحابه في مواضع متقاربة فاذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم فذهبوا اليه واذا عنده أعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا اختلط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا ، فقال من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثا ، ولم يعاقبه .

تاسعا : الاستغراق في العبادة :

كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة في جوف الليل حتى تتورم قدماء تلبية لقوله تعالى : (قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمّل / ٢ - ٤ وكانت السيدة عائشة تشفق عليه وتتألم لما يعانیه

فتقول له : يا رسول الله رفقا بنفسك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول لها صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ، ولو كان القرآن من تأليفه ما ألزم نفسه هذه المشقة ولا كابد فيها ما كابد ولا صام يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين . والقرآن الكريم لو كان من تأليف محمد ما ذكر فيه ما وجهه المشركون اليه من لمز وتشهير ، فاننا لو أردنا أن ندرس ما ذكره الوثنيون من مناقضات للقرآن الكريم ، فاننا لن نجد الا مرجعا واحدا جمع ما قالوه هو القرآن الكريم ، ولو كان القرآن من صناعة محمد ما عني بتسجيل اقوال الوثنيين فيه ، ومن الامثلة على ذلك قولهم أنه اساطير الاولين قال تعالى : (ومنهم من يستمع إليه وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) الانعام/ ٢٥ .

وقال سبحانه : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) الفرقان/ ٥ وقال تعالى : (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) النحل/ ٢٤ .

وقالوا عن القرآن الكريم انه : (سحر يؤثر) قاله الوليد بن المغيرة ومن ماله ، قال تعالى فيه : (إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبروا ستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر) المدثر/ ١٨ - ٢٥ .

وكلما واجههم بآية بينة قالوا هذا سحر مبين قال تعالى : (بل عجبتم ويسخرون . وإذا ذكروا لا يذكرون . وإذا رأوا آية يستسخرون . وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) الصافات/ ١٢ - ١٥ وتواصلوا فيما بينهم أن يعرضوا عن القرآن اذا طرقت اسماعهم وأن يمعنوا في اللغو والضجيج حتى لا يصل الى آذانهم قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فصلت/ ٢٦ وادعوا أنهم قادرون على الاتيان بمثله قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) الأنفال/ ٣١ .

وزعموا انه افك أعانه عليه بعض أنصاره قال تعالى : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليهم قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا) الفرقان/ ٤ .

وزعموا أنه يتعلم القرآن من غلام نصراني اسمه سبيعة أو بلعام اعجمي اللسان وهو حداد ويعمل عبدا عند بعض بني الحضرمي ولا يكاد يبين قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل/ ٣ . وإذا أنذرهم بالبعث بعد الموت قالوا : لقد وعدنا هذا نحن وأباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) النمل/ ٦٨

وقالوا لو كان القرآن خيرا لسبقنا نحن اليه محمدا فهو ليس بخير ولكنه إفاك قديم قال تعالى : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم) الأحقاف/ ١١ وإذا طرق القرآن أسماعهم أسرعوا في الاعراض والانشغال عنه لاهين منصرفين : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) الانبياء/ ٢ و ٣ وأعلنوا هذا هاتفين : (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) فصلت/ ٥ وقالوا عنه انه سحر مصنوع وإفاك مفترى قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفاك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) سبأ/ ٤٢ ويزعمون انه من صناعة محمد وانه تقوله وافتراه : (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بدحيث مثله إن كانوا صادقين) الطور/ ٣٣ و ٣٤ ويتحدونه ليأتيهم بقرآن آخر غير هذا القرآن حينما يضيقون بأحكامه فيقولون له : (أتنت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبد له من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) يونس/ ١٥ و ١٦ ويتحدون الرسول صلى الله عليه وسلم منكرين عليه نزول القرآن منجما : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) الفرقان/ ٣٢ و ٣٣ وأعلنوا كفرهم بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب السماوية : (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) سبأ/ ٣١ وزعموا أن القرآن ضرب من ضروب الشعر فقال تعالى في الرد عليهم : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يس/ ٦٩ .

وكانوا كثيرا ما يستمعون الى آيات الله ساخرين مستهزئين وقد اهاب الله تعالى المؤمنين ان ينصرفوا عن الكفار في هذه الأحوال قال تعالى : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) النساء/ ١٤٠ وكان بعضهم يعدل عن الآيات المحكمات ويتتبع الآيات المتشابهات محاولا أن يصرفها عن وجوها الى ما يرضيه من شهوات واهواء قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) آل عمران/ ٧ وذلك مثلا أنهم سمعوا قوله تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) الانبياء/ ٩٨ ضحكوا وكان السبب في ذلك كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة

قال الوليد بن المغيرة زعم محمد أنا وما نعبد من أللهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري اما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا اكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيزا والنصارى يعبدون المسيح ابن مريم فيعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فانهم انما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ؟ وأنزل الله عز وجل : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الانبياء / ١٠١ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحياء والرهبان الذي مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من عبدهم من أهل الضلالة اربابا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله : (وقالو اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) الانبياء / ٢٦ ... انتهى نقلا عن تفسير ابن كثير ونزيد على ما ذكره ابن كثير ان كلمة (ما) في الآية الكريمة (إنكم وما تعبدون من دون الله) تدل لغويا على غير العاقل غالبا فالمقصود بها انهم وما يعبدون من دون الله من اصنام وكواكب وأشجار وحيوان مصيرهم جميعا الى النار - وكانوا اذا سمعوا عبارة التوحيد أعرضوا ورموه صلى الله عليه وسلم بالجنون : (إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أنا لنتاركو أللهتنا لشاعر مجنون) الصافات / ٣٥ و ٣٦ واذا ذكرهم بالبعث والنشور صاحوا ساخرين : (إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) الدخان / ٣٥ و ٣٦ . (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) الجاثية / ٢٤ (وقال الذين كفروا أ إذا كنا ترابا وأبأؤنا أننا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن وأبأؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) .

ومن المعروف ان كل مجرم أو مذنب يتلمس لتبرير جريمته أو ذنبه عذرا ما يسميه علماء النفس باسم التبرير ويسميه القرآن الكريم بالمعاذير يقول الله تعالى : (بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) القيامة / ١٤ و ١٥ ولم يغفل القرآن الكريم تسجيل تبريرات المشركين لشركهم ومعاذيرهم عن عبادة الاصنام قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس ١٨ وقال سبحانه : (ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر / ٣ ووصف امعانهم في البخل وتبريرهم له فقال سبحانه : (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطع من لو يشاء الله أطعمه أن أنتم إلا في ضلال مبين) يس / ٤٧ .

ووصف القرآن الكريم مبلغ تعصبهم واسرافهم في المكابرة والعناد فقال تعالى :
(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا
سحر مبين) الانعام / ٧ وقال سبحانه : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
فضللوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)
الحجر / ١٤ و ١٥ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألم من عناد قومه وتكذيبهم
له فواجههم الله بأنهم هم الكذابون لأنهم يعلنون خلاف ما يعتقدون ، فانهم في
قرارة انفسهم يعتقدون صدق الرسول وامانته وقد اطلقوا عليه لقب الامين ، واذا
كانت لدى احدهم تحفة ثمينة لم يجد من يودعها عنده الا الرسول صلى الله عليه
وسلم ثقة في امانته وصدقه ، والله سبحانه يواسي رسوله ويجابه المشركين بكذبهم
فيقول : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون) الانعام / ٢٣ والاية مكية واجه بها الرسول قومه فلم
يستطيعوا أن يواجهوه بالتكذيب او الادعاء .

ومن هنا نرى القرآن الكريم قد حفظ لنا اقوال المشركين كاملة بحيث لا نجد
مصدرا آخر غير القرآن سجل لنا هذه الاقوال .
ولو كان القرآن من صناعة محمد ما سجل فيه اقوال خصومه الالاء ، ولكنه
تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين .

وكما سجل القرآن الكريم اقوال المشركين في القرآن سجل اقوالهم في الرسول
صلى الله عليه وسلم فقد اتهموه بالكذب : (وكذب به قومك وهو الحق قل لست
عليكم بوكيل) الانعام / ٦٦ وذلك لأنهم استبعدوا ان يرسل الله أحدا من البشر
وانه لو شاء لأنزل ملائكة قال تعالى : (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل
منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال
الكافرون إن هذا لساحر مبين) يونس / ٢ ولجوا باتهامه بأنه ساحر :
(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل
الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) ص / ٤ و ٥ ثم رموه بأنه مسحور يتخيل
أمورا لا أساس لها من الواقع قال تعالى : (نحن أعلم بما يستمعون به إذ
يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبععون إلا رجلا
مسحورا) الاسراء / ٤٧ واستبعدوا عليه ان يكون رسولا وهو انسان مثلهم يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق : (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في
الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له
جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبععون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف
ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) الفرقان / ٧ - ٩ . وتوهموا
أن الله اذا بعث رسولا فلن يبعثه من البشر وانما يرسله من الملائكة : (وقالوا لولا
أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون . ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) الانعام / ٨ - ١٠ .

وطالما جابهوه بالسخرية والاستهزاء : (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك
إلا هزواً فهذا الذي يذكر ألهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الانبياء/
٣٦ .

(وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزواً فهذا الذي بعث الله رسولا . ان كاد
ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
أضل سبيلا) الفرقان / ٤١ و ٤٢ . وكثيرا ما عابوا عليه فقره : (وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أ هم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) الزخرف / ٢١ -
٣٢ . وكلما ضاقوا بالرسول ذرعا اتهموه بالجنون : (وقالوا يا أيها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين . ما ننزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين) الحجر / ٦ - ٨ . قال تعالى :
(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدي
متين . أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين)
الأعراف / ١٨٢ - ١٨٤ . واتهموه مع الجنون بأنه شاعر يعيش على الخيال
والأوهام : (ويقولون انا لنتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) الصافات / ٣٦ . كما
رموه مع الجنون بالكهانة ويرد الله عليهم هذا الاتهام بقوله : (فذكر فما أنت
بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) الطور / ٢٩ . ويقول سبحانه : (وما صاحبكم
بمجنون) التكوير / ٢٢ . ويقول تعالى ان هذا شأن جميع الأمم السابقة : (كذلك
ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . أتوا صوابه بل
هم قوم طاغون . فتول عنهم فما أنت بملوم . وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين) الذاريات / ٥٢ - ٥٥ .

ولما كان للشعر عندهم من مكانة ألحوا في اتهام الرسول بأنه شاعر وأن من
الخير تركه حتى تنتهي حياته : (أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون . قل
تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم
طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا
صادقين) الطور / ٣٠ - ٣٤ . وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد أن يبعث الله
رسولا من البشر : (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا
أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا) الاسراء / ٩٤ و ٩٥ . وما أنكر محمد بشريته بل
أعلنها بكل الوسائل في كل مجال : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم
اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
أحدا) الكهف / ١١٠ . فهو بشر مماثل لهم ولا فرق بينه وبينهم الا أنه يتلقى

الوحي السماوي بأن الله اله واحد ، وأنه وحده المستحق للعبادة والتقديس وأن كل إنسان سيلقى ربه مهما طال به العمر ، وسيحاسب على ما قدمت يداه ، ومحمد في بشريته يجري عليه ما يجري على البشر جميعا ، فهو يصح ويمرض ويحيا ويموت ويفرح ويحزن : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران / ١٤٤ ، (انك ميت وانهم ميتون) الزمر / ٣٠ ، لكنهم في لجاجهم وعنادهم لم يقدروا الله حق قدره ولا عرفوا حكمته في اصطفاء الرسل من البشر قال تعالى : (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) الأنعام / ٩١ ، وكانوا يظنون أن بشريته تمنعه من حمل الرسالة وأدائها (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفقتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الأنبياء / ٢ - ٥ .

ولقد أمعنوا في ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه يفتح سمعه للكذابين ويتأثر بهم وفاتهم أنه لا يجب أن يسمع الا الخير : (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) التوبة / ٦١ .

وأمعنوا في ايدائه حتى نالوا من أهله فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وأحب نسائه اليه رموها بالبهتان العظيم حتى أظهر الله سبحانه وتعالى براءتها وطهرها في كتابه الكريم : (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) الأحزاب / ٥٧ . ولم يكتفوا بأن القرآن معجزة كبرى للنبي صلى الله عليه وسلم بل طالبوه في الحاح بالمعجزات الحسية المادية وفاتهم أن المعجزات المادية محدودة الزمان والمكان ومقصورة على عدد محدود من المشاهدين أما القرآن فاعجازه غير مقيد بزمان ولا مكان ولا عدد المشاهدين ولكنهم لا يفقهون : (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) الأنعام / ١٠٩ ، ولما حدثت معجزة انشقاق القمر أسرعوا بالتكذيب قال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) القمر / ١ - ٣ ، (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون)

العنكبوت / ٥٠ - ٥٢ .

ولما تحداهم القرآن باعجازه وقرر عجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الاسراء / ٨٨ ، لجوا في عنادهم وطغيانهم وطلبوا اليه أن يخرق النواميس الكونية في السماء والأرض وأن يأتيهم بمعجزات حسية مادية قبل أن يستجيبوا لدعوته : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيل . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل عليك كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) الاسراء / ٩٠ - ٩٣ ، أي لست ملاكا ولا الها وانما أنا بشر رسول .

فلو كان القرآن من كلام محمد ما سجل فيه مطاعن المشركين ولا لمزهم ولا سخريتهم منه ولا تحديهم له . ولكنه (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين) .

عاشرا : ذكرنا ألوانا من الأدلة العقلية والبراهين المنطقية على أن القرآن ليس من تصنيف محمد وانما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونسوق الآن أدلة علمية حاسمة لا مجال للخلاف فيها ، فقد تناول القرآن الكريم بعض الكشوف العلمية التي لم يعرفها العالم الا في العصر الحديث .

ومع أن القرآن كتاب هداية ونور فانه ألم ببعض القضايا العلمية قال تعالى : « **والسما بنيناها بأيد وانا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** » (الذاريات / ٤٧ - ٤٩ ، ففي آيات ثلاث قصار لا تتجاوز سطرين انتقل بنا القرآن الكريم من آفاق السموات الى أرجاء الأرض ثم الى عوالم الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وأعطانا أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من كشوف لم يكن يعلمها أصلا قبل ذلك .

فمن حيث السماء أشارت الآية الكريمة الى تمدد الأجرام السماوية واتساعها ونحن نعلم أن المجموعة الشمسية بكواكبها التسع وأقمارها العديدة وما تضمه من مذنبات مثل مذنب « هالي » هي جزء من المجرة ، وأن المجرة تضم نحو مائة ألف مليون مجموعة شمسية في كل منها كواكب عديدة وأقمار كثيرة ومذنبات وغبار كوني ... وأن الكون الفسيح يضم نحو ألف مليون مجرة وأقرب المجرات الينا تبعد نحو سبعمائة ألف سنة ضوئية والسنة الضوئية تقدر بما يقطعه الضوء من مسافات مقدارها ثلاثمائة ألف كيلو في الثانية الواحدة أو عشرة ملايين مليون كيلومتر تقريبا في السنة الواحدة وأقرب شمس الينا هي ألفيا سنتوري وتبعد عنا نحو أربع سنين ضوئية ، وأحدث ما وصلت اليه الكشوف العلمية أن الكون يتمدد

ويتسع كما تتسع كرة القدم بالنفخ فيها ، وتمدد الكون وتباعد أجرامه بعضها عن بعض تتم بسرعة نحو مائة وستة أميال في الثانية الواحدة ، ونعلم أن اتساع الكون الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه في بدء الخليقة وأن نصف قطره الآن يعادل خمسة آلاف مليون سنة ضوئية ونقول الآن لأنه يتمدد بسرعة أكثر من مائة ميل كل ثانية وهو شبيه بمنطاد يتمدد ويظل يتمدد حتى تنفجر حبال الجاذبية التي تربط بعض الأجرام السماوية بالأجرام الأخرى ، وإلى هذا تشير الآيات الكريمة : (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) الحاقة / ١٣ - ١٦ ، وفي الحديث الشريف « صاحب الصور قد التقم الصور ينتظر الاذن بالنفخ » رواه أحمد ، وإلى هذا التمدد والاتساع أشار القرآن الكريم بقوله : (وإنا لموسعون) مع التأكيد بأن ولام الابتداء في قوله (وإنا لموسعون) وتبارك الله : (يزيد في الخلق ما يشاء) فاطر / ١ .

هذا ما يتعلق بالسماء أما ما يتعلق بالأرض فالله تعالى يقول : (والأرض فرشناها) أي كسوناها بغشاء يغلفها ونحن نعلم أن الأرض كرة ملتهبة من النار انفصلت من الشمس منذ خمسة آلاف مليون عام وحرارتها تعادل حرارة قرص الشمس « خمسة آلاف درجة مئوية » مثل حافة الشمس وقد كساها الله بغلاف رقيق بارد لا يتجاوز بضعة أميال ، وهذا الغلاف يحتوي البحار والأنهار والجبال والغابات والمروج وعالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات ، وكلما تعمقنا في جوف الأرض ثلاثين مترا ارتفعت الحرارة درجة ، حتى نصل الى درجة حرارة تنصهر فيها الحجارة والمعادن ، وتحاول أن تنسف القشرة التي تغلف سطح الأرض فتحدث الزلازل ، وقد تمزقها فتنفجر البراكين المدمرة بما تقذفه من صخور ومعادن ذائبة مصهورة ، وإذا كان محور الكرة الأرضية يعادل ثلاثة عشر ألف ميل فان القشرة الأرضية لا تتجاوز بضعة أميال هي الفرش الرقيق لسطح الكوكب الأرضي وتبارك الله : (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) البقرة / ٢٢ ، وسبحان الذي جعل لنا الأرض بساطا لنسلك فيها سبلا فجاءا قال تعالى : (والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا) نوح / ٢٠ و١٩ ، ومعنى بسطها أنها مهيأة لنمد فيها الطرق والسكك الحديدية وتمخر السفن فيها عباب البحار والمحيطات وهذا لا ينافي كرويتها التي أشارت إليها الآية الكريمة : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الزمر / ٥ ، ولا ينافي دورانها حول محورها الذي أشارت إليه الآية الكريمة : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) النمل / ٨٨ ، فسبحان : (الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غناء أحوى) الأعلى / ٢ - ٥ .

هذا ما يتعلق بالأرض التي نعيش على سطحها فوق أتون ملتهب من النار ، ونعيش تحت سمائها تحت سقف محفوظ يحمينا من الشهب المتساقطة أو

الحاصب الذي يقذف الأرض بمئات الملايين كل يوم منها قال تعالى : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) الملك / ١٦ و ١٧ ، أما موضوع ازدواجية الكائنات فقد تناولتها أكثر من آية قال تعالى : (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يس / ٣٦ ،

وكان العرب يعلمون عند نزول القرآن أن الذكورة والأنوثة ومن التقائهما يمتد النسل ويبقى الجنس قائما على طريق التلقيح والاختصاص وكان العرب يعلمون أن هناك نباتا واحدا تبدو فيه الذكورة والأنوثة وهو نخل البلح فكانوا يؤبرون « يلحقون » النخلة الانثى بطلع النخلة الذكر ، ويسموننها بعملية التآبير وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم .
ولكن الآية الكريمة تعمم الازدواجية في جميع الكائنات : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقد كشفنا في العصر الحديث الازدواجية في عالم النبات كله ورأينا أعضاء التذكير وأعضاء التأنث داخل الأزهار بالبصر العادي أو بالمنظار المكبر . ثم عرفنا حديثا أن الازدواجية موجودة في عالم الجماد أيضا وأطلقنا عليها بدلا من تعبير الذكورة والأنوثة تعبير « السالب » و « الموجب » فان جميع الكائنات يمكن ردها الى بضعة وتسعين عنصرا وكلها تنتهي الى ذرات بالغة الحد في الصغر وعلمنا حديثا أن كل ذرة تضم نواة « بروتين » وكويكيات « الكترونات » وأن النواة كهرباء موجبة والكويكيات كهرباء سالبة كما علمنا أن الكون مكون من طاقة أو مادة والطاقة فيها الجانب السلبي كما فيها الجانب الايجابي وأن كلا منهما يكمل الآخر ، فلو جئنا بقضيبين مغنطين فان لكل منهما طرفه السلبي وطرفه الايجابي ، فلو قربنا طرف القضيب الايجابي من الطرف الايجابي للقضيب الآخر ينفر منه مبتعدا ، وكذلك الأمر لو قربنا الطرف السلبي من السلبي الآخر لنفر منه، ولو قربنا الطرف السلبي من الطرف الايجابي للقضيب الثاني لتجاذبا تماما وكملت الدائرة المغناطيسية والكهرباء ، كذلك يتكون الحبل الموصل للكهرباء من سلكين أحدهما تياره موجب والآخر تياره سالب ، فلو انقطع أحد السلكين لانطفأ النور حتى يتم وصله ومن هنا تبدو الازدواجية في عالم الجماد كما تبدو في عالم الحيوان وعالم النبات أيضا وصدق الله اذ يقول : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) .

فمن أعلم محمدا النبي الأُمى أسرار الكون ؟ وانه يتمدد ويتسع باستمرار وفي ادارة طبيعة الغلاف الذي يضم أتون الأرض الملتهب وجوفها المنصهر ، ومن أخبره بازواج جميع الكائنات ؟ انه لم يعرف هذا من عند نفسه وانما هو تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين وكثير من الآيات القرآنية تضم أسرار علمية لم يكشفها العلم الا في العصر الحديث بل أن بعضها سبق العلم الحديث وقرر أمورا علمية ما زال العلم الحديث يحاول جاهدا الكشف عن أسرارها ، فمن القضايا

التي يقف العلم حائرا أمامها الآن قضية سكان الكواكب . ان العالم الآن يعج بملايين الكواكب الشبيهة بالأرض فهل انفردت الأرض وحدها دون بقية الكواكب فانها وحدها المأهولة بالسكان .

ان العلماء الآن يرسلون المركبات الفضائية الى بعض كواكب المجموعة الشمسية لتصويرها فيها ، ولم تصل الى نتيجة ايجابية حتى الآن ، ولكننا نتلقى اشارات لاسلكية تلتقطها بعض المراصد السمعية على سطح الكوكب الأرضي ، وتصلنا من أعماق الفضاء السحيقة من عالم مجهول ولم نستطع حل رموز هذه الاشارات حتى الآن ، ولكن القرآن الكريم يقرر في كثير من آياته البينات ان هذه الكواكب مأهولة بالسكان الممتازين بالعقل أو الذين يتجردون منه والمعروف في اللغة ان كلمة « من » تدل على العاقل وكلمة « ما » تدل على غير العاقل - والله تعالى يقول : (ان كل من في السموات والأرض الا أتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا) مريم/ ٩٣ - ٩٥ ، ويقول سبحانه : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) الاسراء/ ٤٤ ، وكما ان في السموات كائنات عاقلة فيها كائنات غير عاقلة أيضا والله سبحانه يقول : (والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيل) ويقول الله تعالى : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) الحشر/ ١ .

وفي كواكب السماء دواب أيضا تدب على سطوحها قال تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) الشورى/ ٢٩ ، وقد يتأول أحد المتأولين الدواب التي تدب على سطوح هذه الكواكب بالملائكة مع أنه لا يصح وصف الملائكة بالدواب وبينافي هذا ما ورد في قوله تعالى : (والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) النحل/ ٤٩ ، فالعطف يقتضي المغايرة ولو استعرضنا القرآن الكريم كله ما وجدنا فيه حقيقة تناقض العلم الحديث بعكس ما نراه متجليا في اصحاحات العهد القديم والعهد الجديد « التوراه والانجيل » وهذا دليل قاطع على أصالة القرآن الكريم وانه : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

ومهما بلغ الانسان من القدرة البلاغية فانه لا يستطيع ان يرضى عما ابدعه من فنون البلاغة ، ويتمنى ان يعدله ليصل به الى مدى اسمى مما بلغ اليه ، وفي هذا يقول العماد الاصفهاني : « اني رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لوغير هذا-الكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

والرسول صلى الله عليه وسلم طالع العرب بآيات الذكر الحكيم متتالية متوالية يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام في مدى نيف وعشرين عاما وهو في اثنائها يتحدى العرب ان يأتوا بمثل هذا القرآن ويتلو عليهم قوله تعالى :
(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فعجزوا عن مواجهة هذا التحدي ثم عاد فتحدهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات قال تعالى : (ام يقولون افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) هود / ١٣ طالبهم بهذا ودعاهم لان يستعينوا بمن يرون فيه فائدة في المعونة ان كانوا صادقين ! و(ان) اداة شرطية تدل على الشك في مدى استطاعتهم . ثم عاد مرة ثالثة فتحدهم بان يأتوا بسورة واحدة ولم يحدد مدى هذه السورة فان هناك سورا قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات ، وقد تكون سطرا واحدا ، او سطرين على الاكثر .

ثم عاد فقرر في عبارة حاسمة جازمة انهم لن يستطيعوا ان يقبلوا التحدي لانهم اعجز من ان يواجهوه قال تعالى : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) البقرة / ٢٣ و٢٤ وزاد على التحدي انذارهم بالعذاب الاليم في النار التي وقودها الناس والحجارة اذا اصرروا على جحد القرآن الكريم والتكذيب بآياته البينات .

وهم في اثناء تخطبهم العجيب في مواجهة تحدي آيات القرآن الكريم يحاولون تبرير هذا العجز الرهيب فيزعمون انه يتلقى القرآن الكريم عن طريق الشياطين وقد دحض القرآن الكريم هذا الادعاء فقال : (فلا اقسم بالخنس،الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم امين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالافق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم) التكويد / ١٥ - ٢٥ . فليس،لقرآن من وحي شيطان وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على خاتم المرسلين بلسان عربي مبين ، وقد كان العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا يلهمه ما يقول ، وكان الشعراء انفسهم يعلنون هذا فيقول أحدهم :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر

اذا فمحمد شاعر ولا بد ان وراءه قوة من الشياطين تلهمه ما يقوله ويتحدى به البشر ، وقد كذب القرآن هذا الادعاء ويكفي ان نقول ان في المشركين شعراء موهوبين فما بالهم وقفوا عاجزين امام تحدي القرآن الكريم قال تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين - لينذر من كان حيا

ويحق القول على الكافرين) وفنون الشعر العربي تقوم على العاطفة والخيال وتتناول فنون المديح والهجاء والحماسة والنسيب ، وهذا القرآن الكريم يقوم على الحقائق والعقل الرزين ، وليس من هذه الفنون بسبب او نصيب ولا يمت الى همزات الشياطين باي سبب من الاسباب قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون) الشعراء / ٢١٠ - ٢١٢ .

وتوالى التحدي وتوالى العجز وتلاحق الاعجاز وحينما يظهر العجز يطالعهم باعجاز جديد ، ظل يتلاحق ثلاثة وعشرين عاماً بمكة ثم المدينة ، وظل الاعجاز قائماً على تلاحق العصور وهم يدركونه وان كانوا يكابرون فيه عنادا ولجاجا ، حدث ان ثلاثة من بلغاء قريش كانوا يتسللون الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا فينصتون الى تلاوته اثناء الصلاة ليلا وهم الوليد بن المغيرة والخنس بن قيس وابوجهل بن هشام ، وتأخذهم بلاغة القرآن فيستمرون في الاستماع حتى الصباح ، فلما اصبحوا انصرفوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا راكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه واستمالهم اليه بقوة تأثيره فأمنوا به ، فلما كان في الليلة التالية عادوا الى التسلل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم واخذ كل منهم موضعه واستمعوا اليه حتى الصباح ، فلما اصبحوا جمعتهم الطريق فاشتد نكيرهم وتلاومهم وتعاهدوا وتحالفوا الا يعودوا ، فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الخنس بن قيس فقال له ما تقول فيما سمعت من محمد ؟ فقال الخنس : ماذا اقول ؟ قال بنو عبدالمطلب : فينا الحجابة ، قلنا نعم قالوا فينا السدانة قلنا نعم ، قالوا فينا السقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي !! والله لا آمنت به ابدا ، فالموقف ليس موقف انكار للقرآن ولا جحد لاعجازه وانما هو موقف عناد ولجاج وانكار للحق الواضح البين وكما قال تعالى (يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) الانفال / ٦ .

وكانوا اذا استمعوا الى القرآن ملك عليهم عقولهم وقلوبهم وامتلاأت نفوسهم بالرهبة والخشوع قال جابر بن عبد الله : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فلنكلمه ولننظر ما يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فاتاه عتبة فقال له اخير انت ام عبد الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم فقال : انت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت النبي (يريد ابا النبي وجده) فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خيرمنك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم ، حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيف حتى نتفانى ، ايها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء

قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال صلى الله عليه وسلم فرغت ؟ قال نعم فتلا عليه قوله تعالى : (حم:ننزِيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض اكرههم فهم لا يسمعون) فصلت / ١-٤ - حتى بلغ قوله تعالى من سورة فصلت : (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فصلت / ١٣ فامسك عتبة على فم الرسول وقال وقد ارتعدت فرائضه وناشده الرحم ، حسبك يا محمد ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم ، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وماذا الا من حاجة اصابته ، فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال له ابو جهل يا عتبة « ما حبسك عنا الا انك صبت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال : والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكنني اتيت وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعروا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى : (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب ، وليس عجيبا ان يحدث القرآن الكريم هذا الاثر العجيب في النفوس فقد ترك آثاره العميقة في نفوس الجن فأسلموا كما قال تعالى : (واذا صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين) الاحقاف / ٢٩ - ٣٢ . ولقد بنى الباقلاني كتابه اعجاز القرآن على حقيقة معروفة وهي ان الشاعر او الاديب مهما بلغ من الابداع لا يستطيع ان يظل في مستواه الرفيع في كل ما ينتجه من الروائع بل هو يحلق في اجواز الفضاء ، ثم يهبط احيانا الى الحضيض فقد تسعفه مواهبه فيأتي بالروائع ، ثم تخونه مواهبه ويتغلب عليه ضعفه البشري فيسف الى ما دون المستوى المطلوب وفي ضوء هذه الحقيقة الصادقة استعرض الباقلاني شعر زعيم الشعراء في الجاهلية وهو امرؤ القيس فنوه بروائعه وابرز ابداعه ابرازا واضحا ملموسا ثم نبه على سقطاته وظهر ما فيها من ضعف وتهافت وتناول بمثل هذا شاعرية اكبر شعراء الاسلام وهو البحترى ، فابرز روائعه الفنية وظهر سقطاته ووضحها اتم وضوح ، اما القرآن الكريم فهو دائما في الذروة والقمة وليس فيه اي تهافت او ضعف . واستشهد بقوله تعالى : (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) النساء / ٨٢ . وحسبنا ما سقناه من الادلة العقلية والبراهين العلمية على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صناعة محمد وإنما هو (تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين)

الرحمة المحمدية

للاستاذ / حسن عبدالغني ابو غدة

التصور السليم لأحوال الناس واهتماماتهم قبل الاسلام . ولذلك كان لا بد من بيان حال العالم قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعندئذ تظهر ضخامة المهمة التي تحملها رسول الله ، وتنحني الرؤوس أمام تلك النتائج التي أسفرت بها دعوة الاسلام .

كان العالم - قبل البعثة النبوية - يعيش في جاهلية : جاهلية العقائد والمبادئ والخلق . وجاء لفظ الجاهلية في القرآن الكريم ، ليصور الظلام الذي انتشر قبل ظهور الرسول الكريم في شتى مجالات الحياة . ففي سورة آل عمران الآية / ١٥٤ يقول تعالى عن المنافقين : (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) حيث فقدوا الثقة بالله ، ففرغت قلوبهم من الايمان ، فعاشوا في تخبط وضلال . وفي سورة الأحزاب الآية / ٣٣ قوله تعالى لنساء النبي مرشدا وهاديا : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) والجاهلية الأولى كما يقول كثير من العلماء ما بين عيسى

إن الأمم كالأفراد ، تصاب بالضعف بعد القوة ، وينتابها العجز بعد القدرة . وفي حالة ضعفها أو عجزها ، لا ينبغي لها أن تركز إلى الاستسلام ، وترضى بالتبعية ، بل ينبغي عليها أن تعيش في نور متجدد ، يسطع من تاريخها الماضي ، فيبعث فيها روح الأمل ، وحسن الثقة والعمل .

وجدير بالمسلمين وهم يحاولون إزالة العثرات عن طريقهم ، وينهضون لإصلاح أحوالهم ، أن يلتمسوا نماذج من سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحينذاك تتوثق صلة حاضرهم بماضيهم .

وتاريخ البشرية لم يعرف مصلحا غير محمد صلى الله عليه وسلم استطاع أن يغير وجه الدنيا ، ويحول مجرى التاريخ في فترة وجيزة ، لا تعد زمنا بالنسبة إلى عمر الأمم وحركات التاريخ . مما يثبت أن هذا النبي مؤيد بقدرة الله ورعايته .

ولكن يبقى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقدر قدره الصحيح عند بعض الناس ، لفقدهم

متداعية ، عطلت بعدة فلسفات متنازعة ، فاستبدلت بايمان العصور الأولى السمع صغيرات الخرافة ، إضافة إلى ذلك فقد انتشرت في العالم المسيحي آثام وشُرور لم تجد من ينكرها .

أما الديانة اليهودية ، فقد اقتبس أصحابها كثيرا من عقائد الأمم الوثنية ، وصوروا ذات الله شخصية تعمل فتتعب فتستريح . وهكذا حجب نور التوحيد وراء الأباطيل والأوهام . وتسلبت الأخبار على الناس يحللون ويحرمون بأهوائهم ومطامعهم ، حتى لوبعث أصحاب هذه الديانة لأنكروها وتجاهلوها ، مما أصابها من عبث وتغيير .

وفي الأطراف الشرقية والمناطق الوسطى من قارة آسيا عاش الناس يسجدون للأوثان ويعظمون التماثيل ، ويستقبلون الشمس والنيران في صلواتهم ، أو يعبدون إله النور طمعا في ضيائه ، ويخشون إله الظلام مخافة انتقامه .

وإذا كانت هذه هي الحالة الدينية فليست الحياة الاجتماعية أو الخلقية أفضل منها لأن الاستبداد قد شاع في علاقات الناس مع بعضهم ، وانتشر الجهل حتى قام الناس في أوروبا الغربية يبحثون في أمر المرأة : هل هي انسان كامل ، أرواح حيوانية شريرة في صورة إنسان ؟ وهل يحق لها أن تمتلك وتبيع وتشتري أم لا ؟

وهكذا عاش الناس في ظلم وقهر فلم يجدوا ما ينفسون به عن أنفسهم سوى ألعاب العنف والهمجية

ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، حيث كانت المرأة تلبس قميصا شفافا غير مخيط الجانبين ، لتظهر جسمها وفتنتها للناس . وقد أدرك أصحاب رسول الله بقية من الجاهلية ، فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يخاطب النجاشي ملك الحبشة قائلا : « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف .. » وإن المتأمل في هذه الصفات يجدها قد جمعت فساد العقل وانحراف السلوك وشذوذ الطبع الانساني .

والتبسط في شرح لفظة الجاهلية يحتاج إلى صفحات ، لكن الصورة التي رسمتها آيات القرآن الكريم تمثل حالة الانحطاط التي تردى فيها الوثنيون العرب مع بقية الأمم من يهود ونصارى . بل إن مدينة الفرس ، وحضارة الروم لم تنجوا من الفساد والضياع .

ولعل سبب ارتكاس البشرية في حمأة الجاهلية تطاول الزمن على الناس ، وابتعادهم عن عهد الرسالات ، فغدا التفلت من شعائر الأديان السماوية أمرا سهلا ومألوفا ، حتى انتهى القوم إلى الفساد الذي ظهر في البحر والبر : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم / ٤١ .

لقد كانت نصرانية القرن السابع

والمصارعة ، التي انتشرت في الدولة الرومانية .

وجزيرة العرب لم تكن الحياة فيها أسعد حظا من حياة الأمم والشعوب . فمع أن العرب عبدوا الله سبحانه واحترموا البيت العتيق ، فقد كان إيمانهم ضحلا ، لأن حياتهم العملية تكذب ذلك الاقرار الشفوي غير النابع من القلب : (قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) الرعد/ ١٦ ، إنهم آمنوا بآلهة وأوثان دعوها لتشفى مرضاهم وتوقف مجاعاتهم وترد كوارثهم . فكلما باشروا عملا أو عزموا على أمر ، قصدوها يلتمسون بركاتها ويطلبون عونها .

وحياة العرب الاجتماعية كانت متفسخة هزيلة : انتشر فيها حب الثأر وشدة البطش ونصرة القريب ولو كان ظالما . فضلا عن انحطاط قيمة المرأة التي أباحوا لها تعدد الأزواج ، بل أكرهوها على الزنى طلبا لمال يناله السيد من مملوكته البغي . وكثيرا ما سمح بعض الأزواج لزوجاتهم أن يتصلن بمشاهير الرجال ليحملن منهم أبناء من صنف ممتاز ، كما كانوا يزعمون . أخرج البخاري وأبو داود عن عائشة رضی الله عنها قالت : إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لأمراته إذا طهرت من طمثها : أرسلني إلى فلان فاستبضعي

منه ، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ثم يصيبها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يتخلف ، حتى إذا اجتمعوا عندها ، قالت لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان - لواحد منهم - وتلحق به ولدها ، ولا يستطيع أن يمتنع الرجل . ونكاح رابع يجتمع الناس فيدخلون على المرأة البغي التي يكون لها علم أو راية فإذا حملت ألحقت ولدها بمن يريده ولا يمتنعون من ذلك .

أضف إلى هذا عادة وأد البنات وقطع الطريق وشن الغارات وإسالة الدماء بغير حساب .

في هذا العالم الذي وصفنا أحواله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام بجهود عظيمة لاحتلال النور مكان الظلام ، وإشاعة الأمن مكان الخوف ، ونشر الوحدة بدل الفرقة . حتى سطر لشعب بل لأمم متفسخة موازين الإصلاح بعد أن كانت تتردى في دركات الانحطاط .

ولم تكن بعثته صلى الله عليه وسلم مفاجئة لنواميس الحياة ، بل إن الديانات السابقة بشرت به ، فحملت الكتب المقدسة السالفة أنباء تتصل بظهور خاتم النبيين ، وكانت هذه البشارات منتشرة بين أهل الكتاب من يهود ونصارى . بل إن الكتب المقدسة ذكرت اسمه وموطنه وسجاياه

سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران « وما مجيء الرب في العبارة السابقة إلا تباشير بانتشار رسالاته وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة موسى الذي سار من سيناء وعيسى الذي بعث في فلسطين ومحمد الذي ظهر في مكة حيث الجبال محيطة بها ، حتى لقبت في القديم بفاران لاحتاطة الجبال بها .

وفي الأناجيل الحاضرة نصوص تبشر بالفار قليط وهو لفظ مقابله في العربية لفظ أحمد ، الذي بشر به عيسى عليه السلام ففي سورة الصف آية/٦ قوله تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ومن المتفق عليه عند البخاري ومسلم أن أحمد من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه لم يأت بعد عيسى من تسمي بأحمد وحمل النبوة غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه البشارات بخاتم النبيين منتشرة في القرن السادس الميلادي ، زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . بل ومسطورة في كتب السابقين . روى البخاري عن عطاء ابن يسارق قال : لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص وكان قد وقع على حملي بعير من كتب أهل الكتاب . فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . ثم قرأ عليه : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا

وصفات أصحابه رضي الله عنهم ففي سورة الفتح : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) الفتح/٢٩ .

ولعل تلك البشارات كانت السبب الذي أغرى طوائف اليهود والنصارى بالسكن في بلاد العرب ، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يبعث فيه خاتم النبيين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة . فلقد أخذ الله العهد على أنبيائه لئن جاءهم محمد لينصرنه ويتبعونه ، وبهذا نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، واشتملا على وصايا تحث أتباعهما على الايمان بالرسول النبي الأمي . ومع أنه جرى التغيير والتبديل في أجزاء من تلك الكتب السماوية فان البشارات لم تمنح منها كلية ، طمعا في أن يكون النبي المرسل مواليا لجماعة منهم .

على أنه لا بد من القول بأن نبوة رسول الله ما كانت تستمد من شهادات الأمم السابقة ، وإنما تستمد قوتها وصحتها من ذاتها ، لأنها تحمل في نفسها الشهادة على صدقها والبيانات الناطقة بأنها من عند الله العزيز الحكيم .

ثمة بشارة في سفر « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس الذي بيد اليهود وفيها « جاء الرب من

ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين أنت
عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ،
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
الأسواق ، ولا يجزي السيئة
بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح » .
أما استمرار البشارة بخاتم
النبين عند النصارى فروى البيهقي
عن ابن عباس أن الجارود بن
عبدالله - كان نصرانيا - قدم على
رسول الله فأسلم وقال : « والذي
بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في
الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول »
يعني عيسى ابن مريم .

وقد تأثر الأخبار والرهبان بهذه
البشارات فالتمسوا تفسيرها
الصحيح فوجدوه في أتباع محمد صلى
الله عليه وسلم ، والايمان بما أنزل
الله إليه من نور وحكمة ، فهذا عبد الله
ابن سلام سيد قومه من اليهود ينضم
إلى المسلمين ويؤمن بالنبي لما تبين له
أنه الحق . وكذلك فعل زيد بن سعة
الصحابي الكريم وكان على دين
اليهود . ومن بعدهما أسلم كعب
الأخبار ووهب بن منبه . وقبل هؤلاء
أمن نجاشي الحبشة حينما علم بدعوة
رسول الله من جعفر بن أبي طالب في
هجرة المسلمين إلى الحبشة .

ومن الجدير بالذكر أن العرب كانت
تسمع أخبار النبي المنتظر من أهل
الكتاب ، وكانوا يطمعون أن تتحقق
النبوة في أبنائهم فراحوا يسمونهم
باسم محمد . ومن هؤلاء محمد بن
سفيان جد الفرزدق ومحمد بن مسلمة
الأنصاري وغيرهما ، أخرج البيهقي
والطبراني أن رجلاً سأل محمد بن

عدي بن ربيعة : كيف سماك أبوك في
الجاهلية محمدا ؟ قال : أما إنني
سألت أبي عما سألتني عنه فقال :
خرجت في نفر من قومي فلما وردنا
الشام نزلنا على غدير عليه شجرات
فأشرف علينا راهب فقال : من أنتم ؟
قلنا : قوم من مضر . قال : أما إنه
سوف يبعث فيكم نبي . فسارعوا إليه
وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فانه
خاتم النبيين . فقلنا : ما اسمه ؟
قال : محمد . فلما صرنا إلى أهلنا
وولد لكل واحد منا ولد سماه محمدا .

وهكذا .. عاش الناس على أمل
النجاة مما هم فيه من شقاء وضلال
وفساد . وأراد هؤلاء النبوة لأبنائهم .
لكن الله أرادها لصفوته من خلقه ،
فصلوات الله وسلامه عليه .

لقد انفرد محمد صلى الله عليه
وسلم من بين جيله ، بل الأجيال
كلها ، بميزات جسمية وخلقية ،
ليست في سائر الناس ، وإن كان هو
من الناس . ولهذا لم يكن بدعا من
الأمر أن يكون تكوين محمد صلى الله
عليه وسلم مسترعا للأنظار . فهو
جميل في جسمه كما هو حسن في
خلقه . ولا شك أن ذلك التناسق له أثر
في الاستجابة لدعوته . روي أن
أعرابيا رأى رسول الله ، فراعته منظره
وحسن هيئته فسأله : من أنت ؟
فقال : محمد بن عبد الله . قال
الرجل : أنت الذي تقول عنه قريش
إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم .
قال الأعرابي : والله ليس هذا بوجه
كذاب . فما الذي تدعو إليه ؟ فعرفه
رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

وفي جسم رسول الله كان خاتم النبوة ، وهو جزء من لحمه كان بين كتفيه ، ومن مجموع الروايات التي وصفته ، يظهر أنه كان ناتئاً نتوءاً واضحاً غير أن حجمه كان صغيراً بحيث لا يظهر من وراء الثوب . أخرج مسلم عن جابر قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفي رسول الله مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده « وقد خلق الله هذا الخاتم اللحمي وصفا جسدياً لذات الرسول ، كي لا يماري فيه من رآه . وكانت الكتب السماوية من قبل ذكرت أنه سيبعث نبي بين كتفيه خاتم النبوة .

وهكذا فإن معرفة بشارات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم والاطلاع على صفات رسول الله لا يتركان مجالاً للناس بأن يتساءلوا عن سر اختيار الله تعالى لمحمد بن عبد الله دون غيره .

وبعد هذا لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون الصديق أو دون عمر أو دون علي أو دون غيرهم وهم الأطهار الأبرار الشجعان ؟! لا يستطيع أحد أن يسأل ذلك لأن صفات محمد صلى الله عليه وسلم الخلقية والجسمية لم تكن في أحد من هؤلاء ولا في غيرهم . وصدق الله القائل : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) الأنعام / ١٢٤ والحمد لله رب العالمين .

لقد أكثر الواصفون وصفهم لرسول الله وإعجابهم بتكوينه ، وقام أصحابه يصفون دقائق جسمه ، أخرج الترمذي والبيهقي والطبراني عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ، وكان رجلاً وصافاً : فقال : « كان رسول الله فخماً ، يتلألأ وجهه تالؤلؤ القمر ليلة البدر ، ليس بالطويل ولا بالقصير عظيم الهامة ، رجل الشعر ، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، معتدل الخلق ، بادناً متماسكاً ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا مشى كأنما ينحط من صلب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام » .

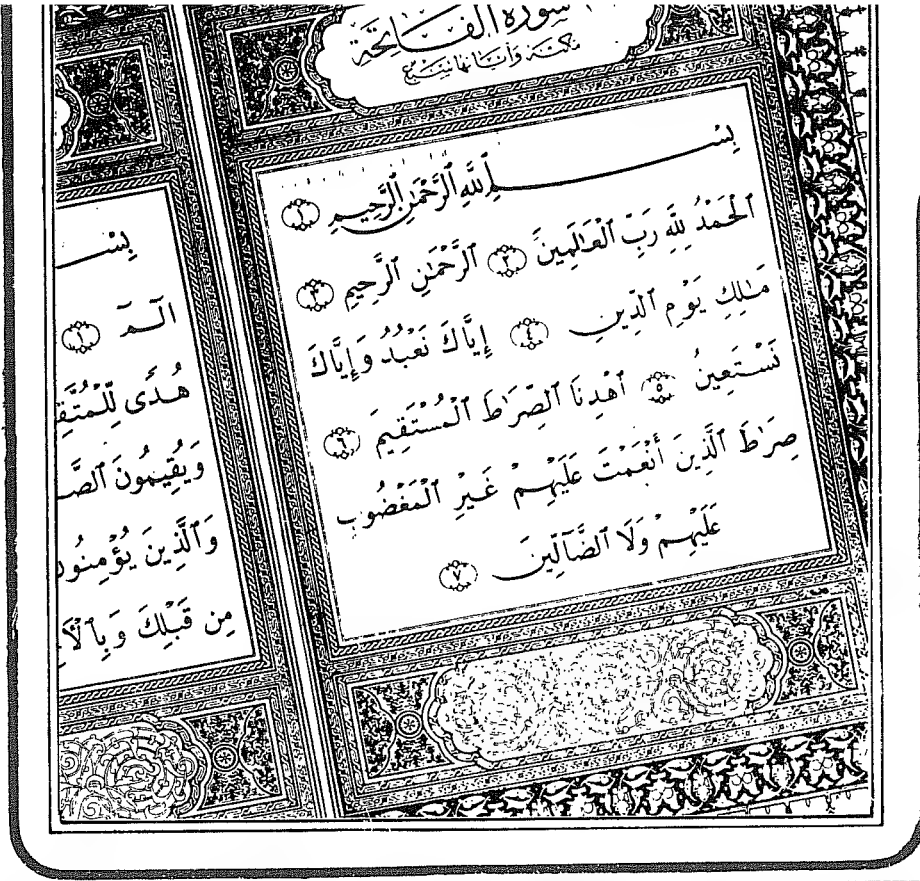
كان منظر رسول الله يشد الأنظار إليه ، لأنه الجمال والكمال ، جمال الرجولة وكمال الانسان ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه . فكل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله . وها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية : فشعره أسود ، بل إن الذين عدوا شعرات شيبه ، لم يرقوا بها إلى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس خادم رسول

الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم

١ - معنى كلمة سورة :

القرآن ١١٤ سورة ، وفي كل سورة من سور القرآن روح يسري في آياتها ،
ويسيطر على مبادئها ، وأحكامها ، وتوجيهاتها ، وأسلوبها .
قال الحافظ ابن كثير :

« واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة ؟ فقليل : من الابانة والارتفاع ،
فكان قارئ القرآن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وقيل : لشرفها وارتفاعها ، كسور
البلدان ، وقيل : سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه ، مأخوذ من
سؤر الاناء وهو البقية ، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وإنما خففت الهمزة
فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها . وقيل : لتمامها وكمالها ، لأن العرب
يسمون الناقة سورة ، قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والاحاطة لآياتها ، كما
يسمى سور البلد ، لاحاطته بمنازله ودوره .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

وجمع السورة (سور) بفتح الواو ، وقد يجمع على (سورات)
و (سوارات) .

٢ - أسماء السور

السورة قطعة من القرآن وجزء منه ، وهي سور يحيط بالآيات التي تحتويها .
ونلاحظ أن السورة تسمى بأغرب شيء فيها أو أهم شيء فيها :
١ - فسورة البقرة سميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة ، وذلك أنه قتل
قتيل في بني إسرائيل ولم يعلم قاتله ، فذهب القوم الى موسى - عليه السلام -
يطلبون منه بيان القاتل ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا القتيل بجزء
منها فترد إليه الحياة ، ويقوم ويقول قتلني فلان ، ثم يعود ميتا ، قال تعالى :
(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)

البقرة/ ٧٢ .

٢ - وسورة آل عمران اشتملت على قصة مريم ابنة عمران ، وقد حملت مريم بامر الله ، وكانت ولادة عيسى أغرب ولادة في التاريخ ، حيث خلقه الله بقدرته من غير أب ، وخلق حواء من غير أم .

قال تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) آل عمران : ٥٩ و ٦٠ .

٣ - وسورة النساء اشتملت على ذكر احكام النساء والوصية بهن ، وأوجبت لهن الميراث ، وكانت المرأة لا ترث في الجاهلية . وقد بينت المحرمات من النساء ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

٤ - وسورة المائدة اشتملت على قصة المائدة في الآيات ١١٢ - ١١٥ ، حيث طلب الحواريون من عيسى مائدة من السماء ، ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بصدق عيسى في دعوته .

(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) . المائدة / ١١٤ ، ١١٥ .

٥ - وسورة الأنعام تعرضت لذكر الأنعام وأنواعها الثمانية : وهي الشاة والخروف والتميس والماعز والثور والبقرة والجمال والناقة . وذلك في الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من السورة ، قال تعالى : (ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ..) الانعام ١٤٢ ، ١٤٣ .

٦ - وسورة الأعراف تعرضت لذكر الأعراف ، وهو حاجز مرتفع بين الجنة والنار ، عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم . قال تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) الأعراف/ ٤٦ .

٧ - وسورة الأنفال تعرضت لذكر الانفال وهي الغنائم ، وكان المسلمون قد اختلفوا في طريقة توزيعها بعد غزوة بدر ، فبينت السورة أن النصر كان من عند الله ، وأن الواجب يقضي بتقوى الله وإصلاح ذات البين وجمع الشمل . قال تعالى : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول فاتقوا الله وأصلحوا

ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين (الانفال / ١ .

٨ - وسورة التوبة ، ذكر فيها توبة الله على المؤمنين وعلى المتخلفين عن الغزو ، حين علم الله منهم صدق التوبة والندم الشديد . قال تعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) التوبة / ١١٧ ، ١١٨ .

٩ - وسورة يونس تعرضت لذكر نبي الله يونس ، وقد أرسله الله إلى مائة الف أو يزيد ، فآمنوا به فنجاهم الله من العذاب ، ومتعهم في الدنيا إلى نهاية أجلهم . قال تعالى : (فلو لا كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يونس / ٩٨ .

١٠ - وسورة هود ذكرت رسالة هود إلى قومه في قوله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون) هود / ٥٠ ، ثم وضحت رسالات الرسل إلى قومهم فذكرت رسالة صالح إلى ثمود ، ورسالة شعيب إلى أهل مدين ، ورسالة ابراهيم ولوط وموسى إلى قومهم .

١١ - وسورة يوسف دارت كلها تقريبا حول قصة يوسف عليه السلام .

وهكذا نجد أن الاساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء ذكر فيها أو أغرب شيء تحدثت عنه .

واحيانا تطرق السورة عدة موضوعات وتختار واحدا من بينها ليكون عنوانا لها ، فسورة هود تناولت قصص كثير من الانبياء اولهم نوح ، ولكن نوحا ذكر في سورة مستقلة ، وثانيهم هود وبه سميت السورة ، ثم تحدثت عن صالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى عليهم السلام .

٣ - السورة وأسلوب القرآن :

كان الرجل اذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين ، وكان عليه الصلاة والسلام يخطب الجمعة بسورة ق ، حتى قالت النساء ما حفظنا سورة ق الا من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فالسورة لوحة هادفة ، ورسالة معبرة في كتاب الله الحكيم ، وقد ذكر العلماء وجوه إعجاز القرآن ، وبينوا أن من خصائص

الأسلوب القرآني ما يأتي :

- ١ - إرضاءه العامة والخاصة .
- ٢ - إرضاءه العقل والعاطفة .
- ٣ - مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .
- ٤ - جودة السبك وإحكام السرد .
- ٥ - براعته في تصريف القول .
- ٦ - جمع القرآن بين الاجمال والبيان .
- ٧ - القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .
- ٨ - عدم الاختلاف والتناقض بين معانيه .

٤ - وحدة النظم في القرآن الكريم :

من إعجاز القرآن اتساق عبارته وإحكام نظمه ، واتحاد طريقته في الابداع والقوة ، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين .
« ومرد ذلك الى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الالهي وتلمح جمال هذا التركيب في نظم الكلمة وتأليفها ، ثم في تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي إعجازه في التركيب ، وإن كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام ، ومناحي العبارة على جملة ما حصل به جهات الخطاب ، كالقصص والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحو مما يدور عليه » . إعجاز القرآن / للرافعي .

فأنت مادمت في القرآن حتى تخرج منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال ، وان اختلفت اجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف ، واللوان التصوير واغراض الكلام ، كأنها تقضي اليك جملة واحدة .

وقد ذهب العلماء الى ان الفاظ القرآن متميزة من جنسها ، بحيث اذا وجدت تركيبا قرآنيا في نسق الكلام دل على نفسه ، وارشدت محاسنه اليه لما له من صفة الهية : (انه لقول فصل . وما هو بالهزل) الطارق : ١٣ ، ١٤ .

٥ - وحدة الفكرة :

من وجوه الاعجاز في القرآن أن معانيه تجري في مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى الفاظه ، ولا يعدم المفكرونها صحيحا من القول في ربط كل كلمة بأختها ، وكل آية بضريبتها ، وكل سورة بما اليها ، وهو علم عجيب اكثر منه الامام فخر

الدين الرازي في تفسيره ، وقد قال ان اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

ويقال ان اول من اظهر هذا العلم الشيخ ابو بكر النيسابوري . وكان غزير المادة في الشريعة والادب ، وكان يقول في تفسيره لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ، وكان يزري على علماء بغداد لانهم لا يعلمون هذه المناسبات .

وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧ هـ كتاب قيم عنوانه : « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ، قام بطبعه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في عدة اجزاء . وقد حقق الجزء الاول منه الاستاذ محمد علي النجار . ويتميز هذا الكتاب بايراد الافكار والمبادئ والوصايا والاحكام التي تشتمل عليها كل سورة على حدة .

ومن عنوان الكتاب نلمح ان المؤلف قد حرص على جمع اللطائف التي اشتمل عليها القرآن الكريم . وهو يبدأ بسورة البقرة ثم بسورة آل عمران وهكذا ، ويذكر تحت كل سورة تعريفا بها ، والحكمة في تسميتها ، ويبين المعاني والافكار المشتملة عليها ، والايات المتشابهة فيها ، التي تكررت في سورة اخرى ، والسري في تميز الآية في سياق سورة عنها في سياق سورة أخرى .

وللامام برهان الدين ابن عمر البقاعي المتوفي في سنة ٨٨٥ هـ تفسير طبع حديثا بالهند اسمه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » ، وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ، وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه ، وفي مطلع القرن العشرين ظهر تفسير « المنار » للشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وعنى تفسير المنار ببيان الوحدة الموضوعية للسورة ، وبيان التناسب بين آياتها ، وبين ان الموضوع يجب ان يكون اساسا في فهم الايات التي نزلت فيه .

وكان السيد رشيد يتبع تفسير كل سورة بملخص لاهم موضوعاتها والاحكام التي وردت بها .

وكان استاذي المرحوم الدكتور « محمد عبد الله دراز » يفتح عينونا اثناء الدراسة الجامعية على موضوع السورة وفكرتها العامة ، ويعرض موضوعاتها في سلك واحد كأنها حبات عقد مكتمل ، احكمته يد السميع العليم القائل في كتابه الكريم : (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود / ١ .

مَقَوِّمَاتُ المَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ فِي نِعْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ

لِلإِسْتَاذِ /السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْمُخْرَنْجِيِّ

○ حالة المجتمع قبل البعثة
المحمدية :

كان المجتمع قبل بعثة الرسول
الكريم أشبه ما يكون بالغابة الواسعة
المظلمة يتيه فيها « القوم » قويهم
يأكل ضعيفهم ، لا يعرفون طريقا
يهداهم الى الخروج من تلك الغابة ولا
يستأنسون بمرشد يرشدهم الى طريق
الصواب ، فالقدرات البشرية معطلة
أو ضائعة لم ينتفع بها ، ولم توجه
التوجيه الصحيح السليم ، فكانت
وبالا على أصحابها وعلى الانسانية
جمعاء .

أفكار عامة :

● حالة المجتمع قبل البعثة
المحمدية .

● أسس بناء المجتمع الاسلامي
الجديد .
- تمهيد :

نود أن نشير - بادئ ذي بدء - الى
الحالة التي كان عليها مجتمع
« الجاهلية » قبل بعثة الرسول
الكريم ، لنرى الى أي مدى أثرت
« المقومات » أو الأسس التي جاء
بها - صلى الله عليه وسلم - في بناء
مجتمعه الاسلامي الجديد .



يقضي به على حال هذا المجتمع الفاسد والمظلم ، ويمحو به تلك الصورة القبيحة المظهر لينشئ بفضلها مجتمعه الاسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، وليحدد من خلالها صورته الجديدة التي تركز في بنائها على فلسفة واضحة المعالم والأهداف تلك الفلسفة التي تنقل هذا المجتمع الجاهلي من حاله البائس المزري الى حال يشعر فيه « الفرد » - من جديد - بكيانه وكرامته وقيمته ، ويدرك حقيقة وجوده على الأرض فيتولد من هذا الشعور الجديد أفراد عديدون ، يكونون في مجموعهم المجتمع الاسلامي ؛ الذي يرمي الى

فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية وأضحى الجود تبذيرا واسرافا والذكاء خفة وخداعا ، والعقل - كان - وسيلة للتفنن في ابتكار الجنايات وارضاء النزوات الحيوانية على السواء .

وبالجملة لم تكن هناك ثمة فضائل تذكر أو تعد ، فصار الخير شرًا وتبدل ظلما وعمة عمت القلوب وطمست الابصار عن جادة الطريق .

وازاء تلك الصورة القائمة لهذا المجتمع الجاهلي الذي عاصره الرسول الكريم ، كان لزاماً عليه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يضع من الأسس أو يوجد من المقومات ما

تأسيسه الرسول الكريم من وراء تلك الأسس أو المقومات .

أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد :

ومن أهم تلك الأسس « المقومات » التي وضعها رسول البشرية لهذا المجتمع الاسلامي الجديد ، ما يلي :-

اولا : الايمان بوحداية الله :

وفحوى هذه القاعدة الأولى ، من مقومات البناء ، أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم المشتتة في عبادة الأوثان وأن تتفق أفهامهم - في يقين لا ليس فيه - على الايمان بحقيقة « الاله الواحد » الأعظم ، الذي له من الصفات والممكنات ما لا يتساوى به « غيره » من تلك الآلهة التي تعبد من دونه ، وبها يشرك به ، وما لا يتناول اليه عقل ويستحيل تصويره فهو سبحانه ، كائن بذاته ، متفرد بعظمته ، مهيمن بجبروته على هذا الوجود ، أو كما يقول الشاعر .
كثرة لا تتناهى عددا
قد طوتها وحدة الواحد طي
كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الذهن الي

وكان من نتائج ترسيخ الرسول الكريم لتلك العقيدة التوحيدية في قلوب وعقول افراد هذا المجتمع ، أن اجتمع اهتمام الانسان وتوحدت قبلته

وتجمعت أشواقه وانتظمت مشاعره ، وتحددت أفكاره وأهدافه ، وذلك هو الأثر البنائي للتوحيد وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الذي أسسه الرسول الكريم ، فنقل به - صلى الله عليه وسلم - أفراد هذا المجتمع الجاهلي من عالم همجي غوغائي تسوده الدهماء إلى عالم جديد تبلورت في ظله معالم شخصية هذا الانسان . وليس من شك أن ترسيخ هذه العقيدة في أذهان أفراد هذا المجتمع وايمانهم المطلق بها وقناعتهم بحقيقتها كان الركن الركين الذي تأسس عليه صرح المجتمع الاسلامي الجديد - مجتمع الرسول - هذا عن المقوم الاول . من مقومات البناء .

ثانيا : التضامن الجديد للامة الاسلامية - صورة :

أما عن هذا الأساس الثاني ، فقد أقامه الرسول الكريم ، على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود ، وإخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد ، ولقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضاً في مظهر الاخاء الكامل الذي كان له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية وإزالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعاً . والذي محيت فيه كل صفات الفردية والانانية وحج الذات ولقد كانت القاعدة التي وضعها النبي الكريم أساساً قام عليه هذا التضامن

شعور الفرد المسلم بتحمل التبعات والمشاركة في الأزمات ازاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد تربطه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف .

فعلى جميع القوى الانسانية في ظل هذا المجتمع الاسلامي - الا تدخر جهداً أو ان تتوانى في سبيل المحافظة على مصالح الآحاد ، أو ان تقعد عن حل مشكلاتهم ، وهذا هو الاساس البنائي الذي اقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمعه الاسلامي الكبير .

على ان الرسول الكريم ، وضع - في هذا المقام - جملة من الأقوال والتوجيهات تأسس عليها مبدأ التكافل الاجتماعي هذا ، نذكر من بينها . قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيما أهل عرصة » الحي والمكان « أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » رواه احمد ، وفي حديث آخر : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ، وفي حديث ثالث ، عن ابن عباس : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » متفق عليه .

وهكذا تأسس هذا المجتمع الاسلامي الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعي ، فالأفراد كلهم جسد واحد وروح واحدة في الاحساس

الجديد ، هي ، قوله ، صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ، وقوله الشريف : « المؤمنون تتكافأ » أي تتسارو « دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » رواه احمد وأبو داود .

ولقد كان من أثر ذلك على المجتمع الاسلامي الجديد ، مجتمع الرسول أن الفرد فيه ، كان يسير بروح الجماعة ويتغيا في منتواه مصلحتها ويسعى لتحقيق هدفها النبيل ويطمح إلى الاسهام بدور إيجابي في تحقيق هدفها المنشود . بل لا بد وان تتطابق رغباته وطموحاته مع طموحات وآمال أفراد تلك « الجماعة الاسلامية » . هذا عن المعنى العام للتضامن . لكنه ، في واقع الأمر ، توجد عدة صور توضح لنا معنى هذا التضامن الجديد للمجتمع الاسلامي بمفهومه الواسع ، نذكر من اهم تلك الصور ، ثلاثة هي :-

- أ (التكافل الاجتماعي .
- ب - الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها .
- ج - الشورى بين افراد المجتمع الاسلامي .

الصورة الأولى : « التكافل الاجتماعي » - معناه - صورته :

والتكافل الاجتماعي ، معناه ،

تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم » رواه أبو داود .

وفي الصحيحين ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « لو أن امرأً اطلع عليك بغير اذنك فحذفته » أي رميته « بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح » .

وعن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال - أألج ؟ « أي أأدخل ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لخادمه ، أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له - قل السلام عليكم أدخل ؟ فسمعها الرجل فقال - السلام عليكم ، أدخل فأذن له النبي - صلى الله عليه وسلم فدخل « رواه البخاري .

وبالمقابل وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية وشدت تشديداً يتناسب مع صيانة حياة كل فرد وماله وحرماته ، وقام على تطبيقها زعيم الأمة وقائدها المظفر ، عليه الصلاة والسلام .

فشرع القصاص في القتل والجروح حماية لأفراد المجتمع وصيانة لأرواحهم : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) البقرة/ ١٧٩ ، : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) المائدة/ ٤٥ .

« ولذلك أيضاً شددت عقوبة الزاني والزانية لما فيها من اعتداء على

بالألم والشعور بالمشاركة فيه ، وليس من شك ان في هذا الاتحاد الجامع المتضامن ما يعكس صورة رائعة أوضحت الشكل الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، فالمؤمن يجب ان يشد من أزر أخيه وأن يقف بجانبه يشاطره المحن ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن ويرفع عن كاهله الأحمال الثقيل بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلاً .

وهذا ما دفع « ابن حزم » ومن وافقه من فقهاء الاسلام الى القول بتحميل سكان بلد المسؤولية الجنائية في موت فرد من أفراد هذا البلد جوعاً . هذا عن الصورة الاولى .

الصورة الثانية : الآداب الاخلاقية والسلوكية وضوابطها :

وعلى هذا الاساس من التعاون والتكافل بين أفراد هذا المجتمع الاسلامي الجديد وضع الرسول الكريم ، أسس الآداب الأخلاقية والسلوكية لضبط سير الأفراد ، فيه ، سيراً هادئاً مهذباً ومنظماً .

ففي مجال « آداب السلوك الأخلاقي والاجتماعي » . شرع الاستئذان عند اتيان البيوت وفي داخلها .

ووضح الرسول الكريم هذا اللون الجميل من الأدب الأخلاقي في سننه القولية والفعلية .

فعن عبد الله بن مسرة قال - كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من

والعلاج الانجح لأم المشاكل صغيرها وكبيرها .

وغني عن القول أن يوصف - مبدأ الشورى - بأنه أعظم المبادئ الدستورية و « ديمقراطية » ، تأكدت في ظله حقوق الانسان ، وكشف للعالم المتمدنين عن أروع نظام سياسي ، عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الاسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الاسلام العالية .

وفي هذا المبدأ بين الرسول الكريم ، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين فوضع اساسا قيما لمسؤولية رجال الحكم أمام الأئمة فقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا وأن تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وإن تناصحوا من ولاه الله أمركم » رواه مسلم واحمد عن أبي هريرة ، وقال ايضا : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشكوا أن يعمهم الله بعقاب منه » رواه أبو داود والترمذي .

وكذلك وضع الرسول الكريم ، نظاما للمسؤولية وكيف يؤدي رجال الشورى واجب النصيح وتقديم ما يمكن أن يطرأ على غيره الى آخر ذلك وترك تفصيله لمراعاة مقتضيات الأحوال والظروف .

كما وضع - صلى الله عليه وسلم - (للبيعة) التي تتعقد لشخص يصبح خليفة ، أو حاكماً ، أو رئيساً للدولة

العرض وعبث بالحرمة ونشر للفاحشة في المجتمع لما ينشأ عنها من تدليس في الأنساب ... شددت هذه العقوبة فجعلت القتل رجماً للمحصن والمحصنة والجلد مائة جلدة لغير المحصن والمحصنة ، وجعلت عقوبة القذف في أعراض المؤمنات ثمانين جلدة وتفسيقاً للقاذف بعدم قبول شهادته .. كما شددت عقوبة السرقة فجعلت قطع اليد . ثم قطع الاخرى عند العودة لما في السرقة من اعتداء على ملك الآخرين واعتداء على حق الناس في الأمن » .

الصورة الثالثة : « الشورى بين أفراد المجتمع الاسلامي » :

وإذا كان المجتمع الاسلامي الجديد جسداً واحداً - كما قلنا من قبل - فمن الطبيعي ان تترايط فيه المصالح وتتوحد الأهداف وتتشابك العلاقات الانسانية والاجتماعية ، غاية القول ، أن هذا المجتمع « الكل » تجد فيه امور واحداث وتطرح على ساحاته ثمة مشاكل ، وتطفو على سطحه - في حالات الشدة والعسرة - بعض المصاعب الى آخر ذلك مما يتطلب له الحلول والعلاجات على أن تكون تلك الحلول نابعة من ضمير الجماعة الاسلامية ، وممثلة لفكرها الموحد ومعبرة عن روحها وارادتها الواعية .

وهذا هو ما أرساه الرسول الكريم ، في مبدأ الشورى ، ذلك المبدأ الذي يتبلور في اطاره الحل الامثل

الاسلامية شروطاً مما لا بد منها لكي تحقق الغرض منها فليست الامارة في مجتمع الاسلام مغنماً يرجى نهمه ، أو مطعماً يرجى حوزته في جلابيب القوم والرجال ، وإنما هي مسؤولية و « أمانة » تأتي يوم القيامة خزياً وندامة إلا من أخذها وأدى الذي عليه فيها .

وهذه المسؤولية من نتائج الشورى إذ لولا أن للامة حق الرقابة على الحاكم ما أمر أن يستشيرها في كل أموره .

ولقد كان الرسول الكريم في تطبيقه لمبدأ الشورى قولاً وعملاً ، خير مترجم أمين لآيات الذكر الحكيم : (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى/ ٣٨ ، وقوله تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران/ ١٥٩ .

تلك كانت الصورة الأخيرة من صور التضامن الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، لكنه بقى لنا أساس ثالث من مقومات هذا المجتمع الجديد ، وهو حسن المعاملة بين أهل الذمة سواء كانوا في دار الحرب أو دار الاسلام ، وهذا ما سنعرض له بايجاز واجمال ، مراعاة لظروف الحال ومقتضيات المقال والمقام .

ثالثاً : حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة :

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي

الجديد لم يكن مجتمعاً إسلامياً صرفاً - بمعنى أنه لم يكن مقصوراً على المسلمين فحسب وإنما كان يحوى ، إما بداخله أو بجواره - أفراداً آخرين لا يؤمنون بالنبي الكريم ولا يعترفون برسالته ، وان كانوا يعلمون ما فيها من الخير والصلاح هؤلاء هم الذين يعرفون « بأهل الذمة » أو أهل الكتاب .

ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم ، قد « فلسف » معاملته وحدد علاقاته مع « أهل الذمة » هؤلاء ، في صور ثلاث : بيعته ، معاهداته ، سفراؤه ، صلى الله عليه وسلم .

وكان من دلالات البيعة أن النبي الكريم ، كان يقيم في « أولاهها » أساس دولة الاسلام أول ما أنشئت فقد كانوا يتعاهدون على ميثاقها الأول إذ صار لها أرض وشعب وحكم ونظام .

ونحن نؤيد أحد الباحثين ، حيث يقول ، في ذلك الصدد « وإنني أظن أن مواد هاتين البيعتين تستجمع العناصر الأولى لتكوين المجتمع والتي بدونها لا مجتمع ولا نظام وإنها تؤلف الخلية الاجتماعية على وجهها الصحيح بأن تنشئ جماعة مطمئنة تقيم النظام في هذه الجماعة .

وهذا مثل آخر نذكره لنؤكد به مدى سمو العلاقة ومبلغ التسامح الذي أسس عليه الرسول الكريم تعامله مع أهل الذمة في دار الاسلام او في دار

بين المؤمنين والمسلمين من قريش « يثرب » ومن تبعهم فلحق بهم .. المهاجرون من قريش على ربعتهم » حالتهم التي أتى الاسلام وهم عليها » يتعاقلون بينهم « اي يدفع كل منهم عن الآخر الدية » وهم يفدون عانيهم « الاسير » منهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. وان المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالدين والانفاق بينهم ان يغطوه (يدفعوه) بالمعروف في فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولي مؤمن دونه .. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. الخ .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص تلك المعاهدة ، ولعلنا تبينا الأسلوب الأمثل الذي سلكه الرسول الكريم في تطبيع علاقاته ومعاملاته والسياسة الحكيمة التي رسمها ، صلى الله عليه وسلم ، بين مجتمعه الاسلامي الجديد وبين أهل الذمة هؤلاء .

ونعتقد - ونحن في ختام (مقالنا) هذا - ان الرسول الكريم في خطبته « حجة الوداع » قد بلور الأسس والمقومات بلورة كاملة تأسس عليها بناء المجتمع الاسلامي الجديد في عهده ، ومن بعده ، صلى الله عليه وسلم ونقتطف منها ما يكفي لبيان الدلالة وصدق العبارة على هذا القول ، وبها يكون مسك الختام والفرغ من المقال .

الحرب ، حيث اكتفى بقبول « الجزية » منهم التزاما بأمر الله ومقابلا لتوفير الرعاية لهم والأمن في داخل هذا المجتمع الاسلامي فالمؤرخ « توماس ارنولد » يذكر : انه لم تحدث محاولة واحدة لارغام أي ذمي على اعتناق الاسلام ، فيقول صراحة :

« لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الاسلام ، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي » .

وأما (لو ثرب ستودارد) فيقول هو الآخر في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، « ما كان العرب قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك ، أمة موهوبة عظيمة الاخلاق والسجايا ، توافقة الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب .. وقد سارت الممالك الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى من تاريخها (٦٥٠ - ١٠٠٠ م) أحسن سير ، فكانت أكثر أصقاع العالم حضارة ورقيا وتقدما وعمرانا ، وما انفك الشرق الاسلامي خلال هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصراني نورا » .

وأما فيما يتعلق بمعاهداته - صلى الله عليه وسلم - بين أهل الذمة فيكفي ان نشير الى بعض ما جاء في نصوص احدى معاهداته معهم حيث جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)
هذا كتاب من محمد النبي الأمي

بعده : كتاب الله ، الا هل بلغت اللهم اشهد .

« يا أيها الناس ، ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلکم لادم وأدم من تراب إن أكرمکم عند الله اتقاکم ان الله عليم خبير . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد قالوا : نعم ، قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز وصية لوارث في اكثر من الثلث والولد للفرش وللعاشر الحجر » اي هذا مقضى به رغم انفها او لعله يشير الى رجمها » ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير موالیه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف « توبة » ولا عدل « فدية » .

وهكذا على هذا النحو من الأسوة الحسنة والموعظة البليغة والحجة البالغة ارسى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقومات التي بني عليها مجتمعه الاسلامي الجديد الذي كان نواة لدولة اسلامية كبرى ، حكمت وسادت وعزت وسمت بعز وسمو قاداتها واتقيائها .

فنعم الاساس وما اعظم البناء ، وصلاة وسلاما على من وضع اللبنة فكانت عمداً ومقومات صلبة ارتكز عليها مجتمعه الاسلامي في كل بقعة من الارض وفي كل عصر من الاعصار .

« وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين »

قال الرسول الكريم بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، في تلك الخطبة الجامعة ما نصه : « أيها الناس ! ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا ، الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع « ساقط ومحرم » ، وان اول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة غير السدانة « خدمة الكعبة » والسقاية « سقاية الحاج » والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجروفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية » .

« ... ايها الناس ! فان لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ؛ ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن « تضيقوا عليهن » وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان « اسيرات » الا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مسلم مال إلا عن طيب نفس ... الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا

أولى المؤمنين من أنفسهم

للدكتور
محمد
عبد المنعم
القيعي

لبعض تراثه - يخرجون بأن حقيقة النبوة قوة من الوجود في انسان مختار ، جاءت لتصلح الانسانية به ، وتقر في هذه الحيوانية المهذبة مثلها الأعلى بدالاتها على طريقها النفسي مع

يذكر المسلمون نبيهم في كل صلاة ، ويطلبون اسرار الذكرى كلما طلع عليهم هلال ربيع ، ليعرفوا مغزاها ويفقهوا معناها . معنى النبوة والنبي والرسالة والرسول . وبعد استقراءهم

وان راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح في منزع يلين ويشد فيروى بالدماء كلام الأرض بعد السماء ، كأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه .

أما الرسالة والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فهي حبل الوصال بين الله وخلقه ، وهي نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تدول ، وحاملها محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وخاتم النبيين . ما كان بدعا من الرسل ، وإنما هو الرحمة المهداة ، من به الله على عباده فقال :

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران / ١٦٤ .

ولروعة ما في هذا النص من أسرار سجلها الواقع بمداد من أضواء النجوم ، التي سكبها الخلود كل ليلة على صفحات التاريخ ، التي لا يقوى على جحد ما فيها مكابر او معاند .. في الجاهلية كان العالم الانساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية ترهق الجسد . وكانت الطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبدع وانبعاث الربيع . وكانت الخليقة الحائرة ترسل النظر الحائر في الآفاق الغائمة ترتقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله . وكانت الهواتف

طريقها الطبيعي ، فيكون مع الانحطاط - الرقي ، ومع النقص - الكمال ، ومع حكم الغريزة - التحكم فيها ، ومع الظلمة المادية - الاشراق الروحي .. حقا انها قوة مؤثرة في كل جوانب الحياة ، خلصت الانسان من العبودية لكل شيء الى السيادة على كل شيء ... ثم وضعت عبودية الانسان في موضعها الصحيح ، واصبح لا يرى عبودية الا لله محييه ومميته .

ولقد خاض الفلاسفة منذ اقدم العصور في معناها . ونسبها بعضهم الى الاكتساب والتحصيل ودارت بحوثهم في نظريات عقيمة - أهى واجبة او مستحيلة ؟ او هي ممكنة ؟ الى غير ذلك من خبط عشواء لا معنى له ..

أما الاسلام فقد وضع اللفظ في معناه ، يحمل من الأوصاف ما تلزم المتصف بها . فالنبي فعيل بمعنى فاعل - وهذا يستدعي تبليغه وفطانته ، وبمعنى مفعول - وهذا يستدعي صدقه وأمانته ..

والنبوة صفة حقيقية قائمة بذات النبي لا تفارقه في يقظة أو نوم ، فتجعله معجما نفسيا ألفته الحكمة الالهية بعلم من علمها وقوة من قوتها ، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعا جديدا ، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله . يخاطب الناس بكلمات ألفاظها ألفاظهم . بيد أنها في جاذبيتها نبض قلب يتكلم ، وفي سموها واجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم . ان خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح .

ومحمد عظيم في الدين والعقل والشعور . والعظمة قيمة في النفس قبل ان تبرزها الاعمال ، وملكات النفوس مزية غير قابلة للمسح .

جاء صلوات الله وسلامه عليه بعقيدة تملأ فراغ النفس في داخلها ، ثم بنظام ينشر عليها الأمان بين بني جنسها : قالت حوادث الدنيا : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة . وقالت : حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . توافرت لديه خصائص الداعية ، فكانت له فصاحة اللسان واللغة ، والقدرة على العمل ، وقوة الايمان ، والغيرة على الدين . نجح في دعوته لا بالاغراء ولا بالوعيد .

فبالنسبة لدافع الاقوياء - ما وجدوه فيه من رحمة واناة واعتذار .. وبالنسبة لدافع الضعفاء - ما وجدوه عنده من الانصاف .. أحاط به نفر من هداهم الله للايمان ، تعددت امزجتهم وتنوعت رغباتهم . فوسعهم بحلمه ولين جانبه :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) آل عمران / ١٥٩ .

وفأوضه أصحاب المصالح الشخصية وعرضوا عليه ما عساه أن يثنيه عن الدعوة في زعمهم ، فأطرق

الطائفة تعلن في رؤوس الجبال وسفوح الأودية ومدارج السبل وثوابيط المعابد وأواوين القصور - بشرى الرسالة الأخيرة . ثم كانت ومضات من روح القدس وأشعة الخلد ، تتعقد هالات مشرققات على شعب بني هاشم ...

ثم انبثق روحه القدسي في مجاهل البدو ومعالم الحضركما يبتسم الأمل في قطوب اليأس وتومض المنارة في ظلام المحيط ..

وعند ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، كأنما هتف من الغيب هاتف يقول : انما العباد لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحكومة لأتباع شريعته ، والدنيا للجميع .. ودار الفلك دوراته حتى بلغ الرجل أشده ، وبلغ أربعين سنة ، اصطفاه الله واجتباه : (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) الحج / ٧٥ .

ونودي صلى الله عليه وسلم :
(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)
المائدة / ٦٧ .

وبين رهط له نقائضه الدنيوية يقف محمد قدوة في المناقب التي يتمناها المخلصون لكل انسان . وما أحوج العالم الى مصلحين ، ولكن ما أجراً الجهلاء على العظماء وهم في حاجة الى هدايتهم . وأي معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف !! ..

اطراقة وقف إزاءها تاريخ الوجود كله
برهة مبهوتا لا يدري بعدها ما
اتجاهه - في الكلمة التي تفتت عنها
شفتاه ، حكم على العالم أياظل في
الضلال يمد له فيه ، فتطغي المجوسية
على النصرانية ، وترفع الوثنية
بباطلها رأسها الخرف الآفن . أو هو
يضيء أمامه أنوار الحقيقة ويعلن فيه
كلمة التوحيد ؟

لقد قال قولته المشهورة : « لو
وضعوا الشمس في يميني والقمر في
يساري ما تركت هذا الأمر حتى
يظهره الله أو أهلك دونه » - سيرة ابن
هشام .

لم يحتكم الى السيف الا في أمور
تتفق الانسانية على أنها لا تفض الا
به ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله . فقاد اصحابه بقيادة تدور على
الفكر لا على الظواهر والأحجام .
وأنزلهم ببصيرة تعرف أن الحرب
خدعة . فاعتمد على ربه ، ثم على
حسن اختيار الموقع . وبادر بالمفاجأة
فضرب القوى العسكرية والموارد
الاقتصادية ، معبئاً كل القوى
مستشيرا اصحابه ، فيرسل
المخابرات ، ويتصدى للاشاعات ،
فيخرج من المعركة بما قسم له الله
فيها من نصر يشكر ربه عليه ، أو
اخفاق يبصر فيه اصحابه بمواطن
النقص عندهم . ثم يعلمهم كيف
يواجهون الحياة سياسيا واداريا .
ولهم فيه أسوة حسنة ... توخى في
اقامة الحجة لامضاء عزمته ، وفرق
بين خصومه يوم الأحزاب ؛ ويوم ان
فتح مكة ، وقبل العهد الذي خفى على

أخص عطرتة يوم الحديبية .
ولا شك ان العمل الاداري في بيئة
هي في اول الطريق من أشق الاعمال
وأصعبها . والسليقة النفسية
المطبوعة على الادارة النافعة هي التي
تعرف التبعة والنظام والاختصاص في
العمل . فولى الامراء ، وقاد الأمة
بنظام . وفوق النظام سلطان . وفوق
السلطان برهان من العقل والشرع .
فهو مدير حين تكون الادارة تدبيرا
للأمور ، ومدير حين تكون الادارة
تدبيرا للشعور .
وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه
ثورته مصلحة الفرد المعتدي على
مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما
بالحكمة :

« أتى برجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من
فيه ، فقال النبي : اضربوه ، قال أبو
هريرة : فمنا الضارب بيده ،
والضارب بنعله والضارب بثوبه . فلما
انصرف قال بعض القوم : أخزأك
الله ، قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا
تعينوا عليه الشيطان » ... البخاري
كتاب الحدود ..

وقد كان يراعي مشاعر الناس
وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد لكل
تغيير امر لا بد منه ، وأن الثورة على
التقاليد دفعة واحدة لها من ردود
الفعل أضرار وعواقب ينبغي للمصلح
ان يتحاشاها ، قال لعائشة :

« لولا أن قومك حديث عهدهم
بالبجاهلية ، فأخاف ان تنكر قلوبهم أن
أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق

للدكتور /
حسن فتح الباب

في المغرب

واقعة حصن « تل ابران » :

الاسباني . فعمد في الليلة الاولى من شهر يوليو الى رسم خطة الهجوم على الحصن ، مقسما قواته ثلاث وحدات : الاولى عهد اليها تسلق الجبل من جميع نواحيه ، على حين تصوب المجموعة الثانية اسلحتها (البنادق) نحو سور الحصن لتغطية زحف المجموعة الاولى . وما ان تبلغ نقطة متفقا عليها حتى تبدأ المجموعة الثالثة بالتسلق بدورها في حين تغطيها الاولى ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القوة كلها موقع الحصن . وذلك هو عنصر المباغطة الذي يدل على التخطيط الحربي السليم عندما تكون القلة في مواجهة الكثرة .

ولقد نجحت الخطة أيما نجاح بفضل احكامها ودقة تنفيذها ، فما ان بزغت الشعاعات الاولى للفجر حتى احتدم القتال داخل الحصن ، وكان مجزرة رهيبية بالنسبة للغزاة ، حيث سقط صريعا كل من كان محتما بالقلعة الاستراتيجية التي ظنوا انها تنجيهم من الخطابي ورجاله بل تمكنهم منهم . خمسمائة عسكري معتد اصبحوا اشلاء متناثرة . اما

يتبين عدم التكافؤ في العدة والعديد بين عبد الكريم الخطابي وبين العدو اذا علمنا ان اسبانيا قد اعدت جيشا يبلغ تعدادة خمسمائة جندي في صيف سنة ١٩٢١ ميلادية بقيادة الجنرال سلفستري لاقتحام منطقة الريف الاسباني التي حررها الثوار المسلمون وعلى رأسهم الخطابي الذي كان يتخذ « اجادير » مقرا لقيادته - وكان الجنرال الاسباني - في صلف المستعمر الغاشم - يأمل ان يحتسي الشاي في اجادير في الوقت الذي كان جنوده يرتجفون في حرارة الصيف ذعرا وهلعا من بأس المسلمين البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرين مجاهدا وحاول القائد المتغطرس ان يتحصن باحدى النقاط الاستراتيجية المسماة « بتل ابران » ومكن جنوده من التمرکز بها .

واستنفر الخطابي جنوده محرضا لهم على قتال العدو متخذا اسلوب حرب الاقتناص (حرب العصابات) بالنظر الى قلتهم وكثافة الجيش

متصلة بلغ عددها خمسا خلال شهر واحد ، واستخدم فيها الخطابي « تكتيكا » عسكريا جديدا . فكان يحفر الانفاق تحت الحصون ويحشوها بالمتفجرات ، فما ان تنفجر الارض تحت الحصن حتى يفر الاسبان الى الخارج في هلع واضطراب ، فيحصدهم المجاهدون بنيرانهم . وبهذا الاسلوب الفذ في ميدان الخطط العسكرية استطاع الخطابي ان يقضي على معظم المراكز التي اقامها الاسبان .

ولكن العدو الغاصب لم ييأس ، بل زادته مرارة الهزائم المتتالية حقدا وعنادا . فرمى بكل ثقله في الحرب ، وكانت معركة انوال التي نشبت في يوم ذكرى معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي وصحبه من المهاجرين والانصار على مشركي مكة الباغين . وهنا ايضا لم يكن ثمة تكافؤ بين الفريقين ، ففي مقابل اربعة عشر الفا من الجنود الاسبان المعتدين المزودين بأحدث الاسلحة كان هناك ستمائة مجاهد مسلحون بالعتاد الذي غنموه من العدو ، ينتظرون في خنادقهم هجوم جيشه وطلب الجنرال سلفستري من دولته النجدة حين ادرك تصميم الخطابي على الثبات في الحرب حتى النصر او الاستشهاد ، وفكر في الانسحاب في الوقت الذي كان الخطابي يرسم خطة الحرب ويوزع جنوده على مسالك الطرقات ليفاجيء العدو . واذا هم الطاغية بالارتداد على عقبه قبل الشروق ، باغته المجاهدون

المجاهدون فلم يستشهد منهم غير اربعة ، وكان مجموع الغنائم التي حصلوا عليها خمسمائة بندقية واربعة مدافع رشاشة ومدفعي هاون . وصدق الحق تعالى : (يا ايها النبي حرّض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) الانفال / ٦٥ و ٦٦

وفي الصباح بهت الذي كفر ، ذلك انه لما بلغ النبا الجنرال سلفستري اصيب بالرعب على حين استبشر المجاهدون واهلهم بما آتاهم الله من نصر مبين . وعلى سنة القائد الاعظم رسول الله حين كان يأمر اصحابه بالتأهب للغزو بعد رجوعهم منصورين من احدى الوقائع حتى لا يشغلوا باقتسام الغنائم او تدب في نفوسهم روح الوهن التي تنجم عن استمراء الراحة والدعة ، طفق عبد الكريم الخطابي يشحذهم جنوده حتى لا تنسيهم نشوة النصر الاستعدادات ولو كسر شوكته حيث ان هزيمته الفادحة لن تثنيه عن معاودة الكرة من مرابضه القرية من الحمى المحرر .

معركة أنوال :

وهكذا خاض المجاهدون معارك

الريف المغربي في الجهاد الاكبر بعد انتصاره في معارك الجهاد الاصغر فانشا حكما عادلا في تلك المنطقة استمر من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦ وكان يتطلع الى نشر العلم وتوطيد الحرية للشعب المغربي والعيش الكريم بين الامم ، الامر الذي اثار حفيظة اعدائه من المستعمرين واتباعهم فنعتوه بالرجل الديني المتعصب الشرس . ولقد التف حوله الشعب وبايعه على الطاعة ثقة في اهدافه النبيلة ، وهي بناء دولة تستمد قوتها من جيش منبثق من ابناء الشعب ، وبناء اقتصاد محكم ، واقامة عدالة مبنية على الشورى والاقتناع كما شرعهما الاسلام .

وبذل الخطابي اقصى الجهد ، وهو في دوامة الاحداث الحربية فعمل على استتباب الامن بين القبائل ، وجمع شملهم على كلمة واحدة هي مقاتلة العدو الدخيل ، فأعاد روح الجماعة . كما أنشأ التعاونيات الزراعية ، ونظم التجارة بين المواطنين ، وأنشأ مدارس للتعليم ومد خطوط الهاتف وشق الطرقات ، وغير ذلك من الاعمال التي تعود على الناس بالخير . اما في الجانب العسكري فقد بدأ ينشئ جيشا عصريا لكي يضطلع بالمهام الوطنية والشعبية ، فالبنديقية في يد والمعول في اليد الاخرى . وما كان لينسيه كل ذلك الجهد التزاماته اليومية التي كانت تحظى منه بالرعاية القصوى ، بل كانت بالنسبة اليه

بالرصاص فهوى مضرجا بدمائه .

مزيد من الانتصارات :

تولى الجنرال نافارو قيادة الغزاة بعد مصرع سلفستري وباء بخزي الهزيمة مثل سلفه ، اذ فقد في معركة حصن « جبل اعروي » ٢٦٠٠ قتيل . وفي اليوم التالي من شهر اغسطس لم يبق مع الجنرال نافارو الذي سلم نفسه كأسير حرب للخطابي الا اربعمائة جندي من خمسة وعشرين الفا وغنم المجاهدون عشرين الفا من البنادق ، واربعمائة رشاش و١٢٩ مدفع ، وبلغ عدد الاسرى الاسبان الفا ومائة . ولم يخسر المجاهدون في هذه الملحمة اكثر من بضع عشرات من القتلى والجرحى .

وهكذا اسدل الستار على تلك المعركة البطولية بالنسبة للمجاهدين ، ودخلت التاريخ كأول معركة في القرن العشرين ، ينهزم فيها جيش اوروبي هزيمة منكرة على يد بضع مئات من الرجال . وقد اذهل هذا النبأ العالم الغربي المستعمر ، فحرك لديه عقدة الصليب مع الهلال وندب المارشال « اليوطي » فباء بدوره بالفشل الذريع ، واعقبه المارشال « بيتان » ذي الصيت المعروف في الحرب العالمية الاولى .

الجهاد الاكبر

نجح عبد الكريم المغربي بطل

من قوة وامكانات حديثة ، ضد الوطنيين المسلمين ، كاستعمال الطائرات وغير ذلك من وسائل الخراب والدمار ، بقيادة طيارين مرتزقة امريكيين ، كانوا قد انتهوا توا من عمليات مماثلة في العدوان على الشعوب ، وانتهاك حقوق الانسان . وامام تعاظم قوة البغي والطغيان التي بلغ عددها نصف مليون جندي - وهذا باعتراف المصادر الغربية نفسها - لم يكن امام البطل الخطابي الا ان ينسحب من الميدان ، وهو شاهر مسدسه الى اخر لحظة ، ليذهب الى عالم النفي والحرمان .

صفحة مضيئة بالشرف والبطولة :

لكن الاستعمار لن ينسى ان فريقا من المجاهدين الريفيين بقيادة عبد الكريم الخطابي لم يزد عددهم عن خمسة الاف مقاتل ، استطاعوا وهم لا يملكون الا اسلحة عتيقة ، ان يواجهوا اكبر الحملات الاوروبية العدوانية التي اربت عدتها على نصف مليون جندي وان ينتصروا عليهم في معارك كثيرة بفضل ايمانهم وتمسكهم بحقهم واستهانتهم بالموت في سبيل المبادئ والاهداف النزيهة . ولقد سجل التاريخ جهاد ذلك البطل ورجاله المؤمنين في صفحات الشرف ليبقوا دائما رمزا للبطولة والتضحية وقدوة للاحرار الذين ينشدون الحق والعدل والكرامة في كل مكان وزمان . وصدق الله العظيم : (**اِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرِكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ**) محمد / ٧

كالروح في الجسد ، وهي الاجتماع مع كل الطبقات الاجتماعية والانصات اليها والاصغاء الى شكاواها مباشرة . وما غره يوما زهو الانتصارات التي احرزها ، وما رضي ان يلقب نفسه او يخلع عليه الناس الالقاب والنعوت التي تخلق ألباب اصحاب السلطة ، وقضى على الشعوذة والتمايم .

مؤامرات العدو وصنائعه :

لم يغفل اعداء الرجل من المستعمرين والتابعين لهم يوما واحدا عن التآمر عليه واستمالة ذوي النفوس الضعيفة والخبيسة والجهلاء الادعياء الذين كانوا يرتزقون من اعمال السحر والكهانة . فانضم هؤلاء الى اللفياف الاجنبي المعروف بوحشيته في التتكيل باحرار المغرب العربي خاصة والقارة الافريقية عامة . وبذلك حقق سدنة الاستعمار هدفهم الدنيء وهو محاربة المغاربة بعضهم لبعض بعد ان فرقوهم ليسودوا . وحشدت فرنسا - من جهة اخرى - على حدود الريف بطول الخطوط الشمالية للمغرب مائتي الف جندي بقيادة مارشالين ، واربعين جنرالا ، مقابل خمسة الاف مجاهد في اقليم لا يتجاوز عدد سكانه اربعمائة الف نسمة .

وفي ١٣ ابريل من سنة ١٩٢٥ استعرت نيران المعارك الطاحنة بين قوة الحق وقوة الباطل . فلم تتوان فرنسا واسبانيا في استعمال ما لديهما

المسرح الجموع

والتقدم العلمي

للدكتور
عبد الفتاح الفاوي

فقالوا : ان الاسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة . ولكن ينقض على هؤلاء تعليلهم هذا أن الدين الاسلامي نفسه يحث في مواطن كثيرة على التعلم وعلى البحث ، لأن المسلمين أنفسهم عندما كانوا متمسكين بالاسلام حقا كانت لهم يد طولي في هذا المضمار . فليس الدين اذن هو عامل التأخر كما يقولون . وليست اللغة العربية أيضا هي سبب

كثيرا ما يتساءل المرء عن سر هذا التقدم الرهيب الذي أحرزته تلك الأمم ، والتي استطاعت أن تطأ به سطح القمر . وكثيرا ما يتساءل أيضا عن سر تأخر المسلمين ، أو توقفهم بعد أن كان لهم قصب السبق في ذلك الميدان .

لقد حاول البعض أن يعللوا تأخر المسلمين بشدة تمسكهم بدينهم .

هذا التأخر كما حاول الاستعمار وقتاً
ما أن يوعز بذلك .

وإذا لم تكن اللغة العربية أو الدين
الاسلامي هما سببا تأخر المسلمين
عن ركب الحضارة فلا بد أن هناك
عاملاً أو عوامل أخرى غير هاتين فما
هي تلك العوامل ؟

قبل الحديث عن هذه العوامل أود
أن أشير الى أن الغرض من طرح هذه
القضية ومحاولة تحليلها هو اكتشاف
موطن الداء ليسهل وصف الدواء .
فعندما نقف على هذه العوامل
ونحددها نستطيع أن نتجنبها . أو على
الأقل نستطيع أن نحدد مدى قدرتنا
على تجنبها . وبالتالي نصبح على بيّنة
من أمر أنفسنا فنعرف ان كانت تلك
العوامل عوامل داخلية في المسلمين أو
في الساميين عموماً كما يقول
« ريغان » المستشرق الفرنسي بحيث
لا نستطيع أن نتخلص منها لأنها
فطرية طبيعية . أم أنها عوامل
خارجية طارئة يمكن علاجها والعمل
على مجاوزتها عند الوقوف عليها . وأن
هذه العوامل تتعلق بالظروف المحيطة
بالانسان أكثر مما تتعلق بالانسان
نفسه . فكلنا يعرف مثلاً أن ازدهار
الحضارات يواكب دائماً الامم
الناجحة القوية لأن الحضارات تزدهر
في جو الاستقرار السياسي
والاقتصادي والاجتماعي . فعندما
تتوفر تلك العوامل تتجه جهود الدولة
شعباً وحكومة الى الابتكار والاختراع
لوجود الامكانات المادية والمعنوية
التي تساعد على ذلك . أما اذا انعدم
هذا الاستقرار وحلت محله

الاضطرابات فليس آنئذ ثمة مجال
لابتكار أو اختراع اذ الكل في ذلك
الوقت يعمل لنفسه بمعنى أن كل فرد
لا يهتم الا أمر نفسه يحميها من
القلق ، ويؤمنها من المخاوف ، أو
يجلب لها بعض المكاسب . وإن وجد
في مثل هذه الظروف شيء من حضارة
فلن تكون في درجتها أوقات
الاستقرار . والتاريخ بجميع فصوله
وأبوابه خير شاهد على ذلك .

وإذا سلمنا بهذه المقدمة نقول ان
العرب عندما كان لهم هذا الاستقرار
السياسي والاجتماعي والاقتصادي
أوجدوا حضارة وصنعوا تقدماً وكانت
لهم خطوات في هذا المضمار طويلة ،
وباع ليس بالقصير فوجد فيهم
الأفذاذ من أصحاب النظريات وأرباب
الاختراعات .

ولكن - والحق يقال - ان العرب أو
المسلمين جميعاً في هذا الوقت أخطأوا
المنهج وضلوا الطريق فأضاعوا
فرصة يعز عليهم أن يرجعوها . وكان
خطؤهم في اتجاههم نحو مجال واحد
يعملون فيه وينتجون . يبتكرون فيه
ويخترعون . وتركوا المجالات الأخرى
هملاً أو شبه مهمة . ذلك أن المسلمين
عندما أتاحت لهم ظروف التقدم
والابتكار وخلق الحضارة اتجهوا نحو
العلوم النظرية علوم الدين والشريعة
واللغة والأدب وما اليها كرسوا لها
أعدادهم وجهودهم حتى لتجد منهم
ألف عالم وعالم في تخصص واحد
وتجد العمل الواحد يكرر ألف مرة
ومرة حتى قتلوا هذا المجال بحثاً
وأشبعوه انتاجاً فأنتجوا من التراث في

فيه من الجهد العقلي اكثر من صوابه .

وأريدك الآن أن تقف معي وتتصور لو أن بعض هؤلاء العلماء نصفهم أو ثلثهم أو دون ذلك أو فوقه اتجه نحو العلوم العملية ألم يكونوا قادرين على صنع حضارة وتقدم عملي ؟ ألم تكن هذه العقول قادرة على أن تحقق بعض ما حققه القوم اليوم أو على الأقل أن تبدأ من حيث بدءوا !!؟

أما أنا فأعتقد ذلك بيد أنني لم أقرأ كتب التراث كلها ولا جزءاً ضئيلاً منها . ولم أقرأ الا أقل القليل وقد رأيت في هذا الأقل ما جعلني أقرر أن بعض هذه العقول لو اتجهت نحو العلوم العملية لصنعت شيئاً بل أشياء فما بالك بمن قرأ معظم هذا التراث أو جزءاً كبيراً منه .

اننا نستطيع أن نعد من علماء المسلمين في هذا المجال (المجال النظري) المئتين بل الالاف في الوقت الذي اذا ذهبنا فيه الى العلوم العملية لا نعثر فيها الا على الواحد بعد الواحد . ولا يكاد المشهورون في هذا المجال يتجاوزون العقد الأول من العدد تذكر مثلاً جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الحسن بن الهيثم ، ابن سينا ، البيروني ، وربما تذكر ضعف هذا العدد أو حتى عشرة أضعافه فهو على أية حال عدد قليل وقليل جداً لا يفي . على أن هذا العدد أو أضعافه لم يجد من يواصل خطاه من بعده . فماتت أعمال كل واحد بموته تقريباً . لأن الفكرة ان لم تجد التطبيق فهي

العلوم الانسانية ما لم ينتج ولن ينتج مثله حتى ليقال ان مياه الرافدين في العراق قد اسودت من مداد الكتب التي ألقتها هولاء كوفياها عندما استولى على العراق . فالاعادة والتكرار ، والشرح والتلخيص ، والابطال والتأييد ، أعمال انصرفت اليها جهود معظم علماء المسلمين وكان يمكن لها الاكتفاء ببعض ذلك أو أقله . يؤلف مثلاً عالم كتاباً في النحو فيأتي آخر ينقضه عليه ويأتي ثالث يؤيد النقض أو ينقضه ورابع وخامس وهكذا . وقل مثل ذلك في علم الكلام واللغة والفلسفة وباختصار كل فروع العلوم النظرية . وهكذا وجهت جهود علماء المسلمين الى مثل هذه الأعمال . ولا شك أن هذه العقول التي انتجت هذا التراث عقول جبارة . والمطلع على هذا التراث ليرى ما يثير دهشته من ذكاء هؤلاء العلماء وقدرتهم على التحليل وبراعتهم في التعليل . اقرأ ان شئت بعض كتب الفقه أو الأصول أو اذهب الى اللغة والنحو أو عرج على كتب الفلسفة والكلام ناهيك عن كتب التصوف ومؤلفات الشيعة . انتاج عجيب وعظيم معا وعندما أشير الى هذا الانتاج أشير الى مدى الجهد العقلي الذي استنفده ومدى ما له من دلالة على ذكاء القوم وعظمة عقولهم لا يعنيني صحة ما فيه في هذا المقام بقدر ما يعنيني تقييم الجهد العقلي الذي بذل فيه . فسواء أكان كل ما فيه صواباً أم كان شيء منه مجاوزاً للصواب فان العمل العقلي الجبار باد في جميعه بل قد يكون خطوة قد بذل

ميتة أو في حكم الميتة .

فالفرق بين المجال العملي والمجال النظري عند المسلمين أمران أولهما أن معظمهم أو قل إن شئت كلهم عدا نذر يسير اتجه نحو العلوم النظرية ، وأفراد معدودون هم الذين اتجهوا نحو العلوم العملية . ثانيهما : أن من اتجه منهم نحو العلوم العملية لم يجد الخلف الذي يحمل نظرياته من بعده لم يجد اليد الأمانة التي ترعى هذه النظريات وتستخدمها وتطورها بعكسها في العلوم النظرية حيث كان الواحد منهم يضع رأيا في مسألة فتجد العشرات من بعده يناقشونها تأييدا أو معارضة . هذا الى أن كثيرا ممن اتجهوا نحو العلوم العملية لم يتجهوا لها كليا بل كان لهم الى جانبها اهتمامات بالعلوم النظرية فابن سينا مثلا فيلسوف قبل أن يكون طبيا . وكذا البيروني وهكذا . والغريب بعد ذلك أن ترى اللاحقين يتبنون أعمال ابن سينا النظرية أكثر من تبنيهم أعماله العملية ففلسفة ابن سينا قتلت بحثا الى يومنا هذا في الوقت الذي أهمل فيه طبه أو كاد . ولو وجد طب ابن سينا مثلا العناية والاهتمام من المسلمين مثل ما وجدتها فلسفته لكان للطب عند المسلمين مقام غير مقامه الآن ... وهكذا ...

نستطيع أن نقول باختصار ان السبب في تأخر المسلمين هو اتجاه علمائهم نحو العلوم النظرية ، وقطعهم حبل الود وقطيعتهم التامة للعلوم العملية . من ثم برعوا في العلوم الانسانية وكسدوا في العلوم العملية -

ربما يقول البعض ان هذا رأي سبق به ريغان من قبل عندما رأى أن الشعوب السامية تهتم بالعلوم الانسانية النظرية وبالرؤية العامة الكلية بينما تهتم الشعوب الآرية بالعلوم العملية وبالنظرة التفصيلية . هذا رأي ريغان . والمتأمل يجد فرقا واضحا بين ما ذهب اليه ريغان وبين ما أدلينا به هنا . فريغان يرى أن الجنس هو العامل المميز بين الشعوب الآرية والسامية وأن لكل شعب خصائصه ومميزاته . وعلى ذلك يرى أن العامل في تأخر الشعوب السامية ومنها الشعوب العربية عن الشعوب الآرية هو عامل داخلي فطري وهو الجنس . أما ما ذهبنا اليه فيرى أن العامل في تأخر المسلمين ليس عاملا أساسيا داخليا فطريا - ليس هو الجنس - وانما هي عوامل خارجية وأيما ما يكن فقد انتقدت نظرية « ريغان » بما فيه الكفاية مما يعفينا من اعادة نقدها هنا .

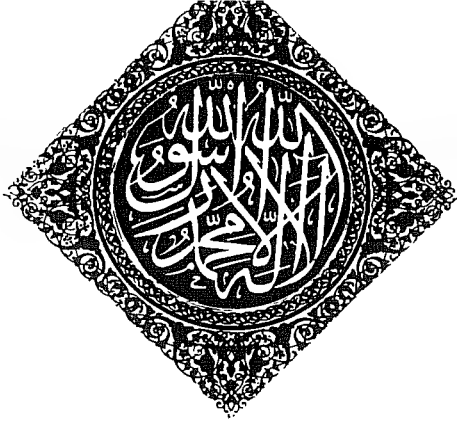
فاتجاه المسلمين نحو العلوم الانسانية لا لعجز عن العلوم العملية . ولكن لأسباب أخرى . دينية واجتماعية وسياسية . والمسلمون لو اتجهوا للعلوم العملية لانتجوا . وبعضهم اتجه وأنتج . الا أنهم يمموا - لسبب أو لآخر - شطر العلوم الانسانية . وربما كان السبب في ذلك هو شدة تعلقهم بالدين وحبهم له الأمر الذي جعلهم يقيمون من أنفسهم حماة ومدافعين عن كتابهم المقدس « القرآن الكريم » . ومن أجل تلك الحماية وهذا الدفاع نشأت علوم اللغة والدين

الخلفاء خير شاهد على ذلك .
ويمكن أن نضيف الى ذلك بساطة حياة المسلمين الأولى وسذاجتها التي جعلتهم لا يفكرون في العلوم العملية لأن الحاجة أم الاختراع وهؤلاء كانت حاجاتهم قليلة جدا .

وعلى ذلك فالوقت الذي كان من الممكن أن ينتج فيه المسلمون شيئا أنتجوا فيه أشياء كثيرة . ولكنها علوم نظرية وليست عملية . وبعبارة أوضح ان عهد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين الذي كان يمكنهم أن يصنعوا فيه حضارة وتقدماً علمياً عملياً لم يستغلوه في هذا المجال وانما اتجهوا فيه نحو العلوم النظرية فكان ذلك الانتاج الرهيب الذي خلفوه . ثم ضاع هذا الوقت بالنسبة للمسلمين عندما ضعفوا واستعمروا وضاعت فرصتهم للقدرة على الاختراع ردحا من الدهر . ثم عادت أواها هي تعود اليهم ثانية فهل يا ترى ينتهزونها هذه المرة أم يتركونها تفلت من أيديهم كما فلتت من قبل !! لا .. انهم تعلموا درسا قاسيا واستفادوا منه كثيرا وها هم الآن يعملون قدر جهدهم ليلحقوا بالركب . ومبعوثوهم في الدول المتحضرة خير شاهد على عزمهم وإصرارهم . وما هي الا فترة أو زهاؤها حتى تنتهي خلافاتهم وتتوحد كلمتهم وجهودهم وعندئذ يقودون العالم كما قادوه من قبل وينتجون له هذه المرة حضارة عملية انسانية معا هدفها سعادة الانسان ، سعادة حقيقية .

على أوسع نطاق وأعمقه . فكل المصنفات الإسلامية من لغة وشريعة وفلسفة وتاريخ وأدب نشأت أصلا لحماية الدين بل حتى علوم الفلك والطب والهندسة نشأت نشأة دينية . وقل باختصار ان نشاط المسلمين الثقافي كان وراءه من قريب أو بعيد دوافع دينية . والحماس الديني الذي اندفعوا معه الى هذا الاتجاه حجبهم عن النظر الى الجانب الأخر من العلوم وهو الجانب العملي التطبيقي . فكانوا جميعا في اتجاه واحد وكان هذا هو الخطأ الذي وقعوا فيه لا الذي أوقعهم فيه الدين . لأن الدين لم يحجر عليهم دراسة العلوم العملية بل على العكس كثيرا ما حث عليها . والاشارات العلمية في القرآن أكثر من أن تحصى . بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اطلب العلم ولو في الصين » يريد أن يشير من قريب أو بعيد الى العلوم العملية لأن العلم الذي يمكن أن يطلب في الصين ليس هو علوم اللغة أو الشريعة . فالخطأ اذن خطأ منهجي من المسلمين وليس من الاسلام . ومما شجع علماء المسلمين على التماذي في هذا الخطأ والاستمرار في الاهتمام بالعلوم الانسانية نظرة المجتمع فقد كان المجتمع يحترم ويجل أمثال هؤلاء العلماء في الوقت الذي كان لا يعطي مثل هذا الاحترام والتقدير لمن يشتغل بالعلوم العملية ويهتم بتطبيقها .

وليس المجتمع فحسب بل الحكام أيضا كانوا يرعون العلوم الانسانية أكثر من رعايتهم للعلوم العملية وبلاط



العُقُوبَات فِي

الاسلام

تمهيد :

من أهم حاجات الفرد والمجتمع في كل النظم والفلسفات الحاجة الى الأمن ، وهذا ينطبق على الانسان في كل زمان وفي كل مكان ، كما ينطبق على المجتمع في كل زمان وفي كل مكان .

وكل أمة تضع من الأسس التربوية ومن التشريعات القانونية ما يساعدها على تحقيق الأمن - وهذا حسب تصور المربين فيها وحسب تصور رجال القانون ورجال السياسة ، وهذا يتأثر إلى حد كبير بالمصادر التي يستقون منها نظمهم وقوانينهم . وقد جربت المجتمعات الأصول التربوية المختلفة والتشريعات القانونية المتباينة في جميع عصورها وفي جميع دولها .

ويأتي سؤال : وهل نجحت هذه الدول في تحقيق الأمن للفرد وفي تحقيقه للمجتمع ؟

إذا كان الجواب ما قرأناه في كتب التاريخ عن الماضي وما نراه وما نقرؤه وما

هَدَفَهَا حَمَايَةَ مَقَوِّمَاتِ الْوَجُودِ الْإِنْسَانِيِّ

طلبت جمعية العفو الدولية
من الأطباء الامتناع عن تنفيذ
عقوبة قطع يد السارق زاعمة أن
قطع يد السارق لون من ألوان
التعذيب . ومن هنا يحق لنا أن
نكتب عن العقوبات في الاسلام
لنبين لهذه الجمعية انها خالفت
الحق والعدل فيما طلبت ،
وليعلم الناس كل الناس من
طريق الحجة والبرهان ان
العقوبات في الاسلام شرعت
لصيانة مقومات الحياة
الانسانية من الدين والعقل
والعرض والدم والمال ، وانها
دون غيرها سبيل الامن
والطمأنينة .

للاستاذ : علي القاضي

نسمعه عن المجتمعات الحاضرة من فشل واضح في تحقيق هذه الحاجة للفرد والمجتمع فان سؤالاً آخر يأتي :-

ولماذا كان هذا الفشل الواضح في تحقيق هذه الحاجة الأساسية ؟

والجواب : إن الذي يضع الأصول التربوية والقوانين التشريعية رجال علماء
تربوية وفقهاء في القوانين وهم يعرفون عن الأفراد جوانب ويجهلون جوانب ، ولذلك
فإنهم حسب علمهم يضعون ويظنون ان هذا كاف وعند التطبيق يظهر ألوان من
القصور فيغيرون ويغيرون وهكذا - ثم إنهم حسب استعداداتهم الشخصية
وحسب ثقافتهم يتأثرون في بعض الجوانب فلا يرون إلا هذه الزوايا ، وأحيانا
تتدخل المصالح الخاصة في وضع ذلك فتصبح القوانين أو تطبيقاتها في مصلحة
الحاكم أو في مصلحة الحزب أو غير ذلك .

والمجتمعات الغربية تستمد أصول قوانينها من القانون الروماني القديم ، وهي
تشديد به وبما فيه من امتيازات - ولكنها لا ترى غيره - ومع وجود الكثير من
المميزات في القانون الروماني القديم إلا أن به أيضا ألوانا من الخلل مثل وجود

قوانين تطبقها على أفراد مجتمعتها وقوانين لغيرها ، يقول محمد أسد في كتابه (الاسلام على مفترق الطرق) : إن الفكرة التي كانت تسيطر على الأيدلوجية الرومانية هي احتكار القوة لها ، واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الروماني فقط - لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم أو قسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة - أما ما اشتهر من عدل الرومان فلم يكن إلا للرومان فقط .

إن استقرار المجتمعات هدف أساسي لجميع النظم وجميع التنظيمات الاجتماعية التي تحاول أن تبلغه بشتى الأساليب والمناهج - بل وتقوم بتجريب ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث ليساعدها ذلك على استقرار المجتمعات ، ومع ذلك فهل وصلت إلى النتيجة المرجوة ؟ **والجواب : لا** ، بل إن كل المجتمعات تشكو من فقدان الأمن للفرد والمجتمع - ومع ذلك فإن هذه المجتمعات التي تفتقد الأمن في نظمها وتشريعاتها البشرية يحلو لها أن يهاجموا الاسلام في النظم التربوية والتشريعات الحدودية حتى يثبتوا لأنفسهم - وربما للمسلمين أيضا - أن الاسلام دين قد انقضى عهده ، ولم يعد صالحا للتطبيق في عهود الحضارة والمدنية ، إذ كيف يكون من المعقول أو المقبول أن يمشي بين الناس بيد واحدة لمجرد أنه سرق أو أن يجلد لمجرد أنه زنا - مع أن هذا قد يكون برضا الطرفين - فالاسلام بذلك يصادر الحرية الشخصية - وكيف يكون من المقبول أن يجلد شارب الخمر مع أنه يريد أن ينسى همومه أو يتلذذ بشربها وهكذا ..

يقولون هذا وهم يعانون ما يعانون من المتاعب والمشكلات وفقدان الأمن للأفراد والجماعات - ولو أن أساليبهم في التربية وتشريعاتهم القانونية نجحت لكان من الممكن أن يقولوا هذا - ولكنهم يقولون ما يقولون في كبرياء لأنهم لا يكلفون أنفسهم دراسة التربية الاسلامية ولا التشريع الاسلامي بحثا دقيقا حتى يعرفوا ما فيهما من امتيازات وما وصل إليه التطبيق من نجاح ، فيكونون هم المستفيدين بما يتوصلون إليه من معرفة .. ولكن متى كان للمستكبر نظرة موضوعية يفيد بها نفسه وغيره ؟

والاعجب من هذا أن بعض المسلمين الذين تتقفوا ثقافة غربية يسировون على هذا النهج وهم لا يعرفون شيئا عن دينهم ولا عن ثقافتهم ولا عن عقيدتهم ، فصادفت هذه المعلومات قلبا خاليا فتمكنت منه .. وساعدهم على ذلك أنهم مكثوا بوساطة الغربيين من استعمال أجهزة الدعاية والاعلام فأخذوا يعيدون ويزيدون ويكررون هذه المعاني ، ويحاولون أن يأتوا بقانون من هذه الدولة أو تلك - وفي الوقت نفسه يواجهون من يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية باتهامات شتى مثل الرجعية والتأخر ومصادرة الحريات وما إلى ذلك - مع أن النظرة الخاطفة ترينا أن المدنية الحديثة هي التي صادرت الحريات وأهدرت كرامة الانسان ، ولاقى الانسان تحت لوائها ما لاقى من متاعب وأهوال .. ثم هل معنى أن الشيء قديم أنه غير صالح ؟ وهل الرجوع إلى الوراء كله سوء ؟ فلماذا يرجعون إلى الآداب الاغريقية

وإلى القوانين الرومانية ليستمدوا منها الكثير في آدابهم وفي قوانينهم وتشريعاتهم مع أنها أسبق بكثير من الاسلام ؟
إن قوة الغرب المادية أعمت بصيرته عن أن ينظر بعين الانصاف فشقى هو بذلك ، وشقى الكثيرون معه من الذين يسرون على نهجه .

هل الحدود الاسلامية قسوة ؟

من الذي شرع الحدود الاسلامية ؟ إن الذي شرع هذه الحدود هو الله سبحانه وتعالى خالق البشرية وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ أترى رب العزة يميل إلى القسوة على عباده أم أنه بهم رؤوف رحيم ؟ يحدثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بامرأة من السبي قد وجدت صبيًا في السبي فأخذته فألصقته بطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترى هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه فقال عليه الصلاة والسلام : الله أرحم بعباده من هذه بولدها » البخاري ومسلم .
والناس في الزمن الحاضر - وفي كل زمن - ينظرون نظرة جزئية إلى مصلحة خاصة أو مصلحة عامة في فترة زمنية محدودة - ولو أنهم نظروا إلى مصلحة الفرد على المدى الطويل وعلى مستوى المجتمع كله أو على مستوى الجماعات والأمم لغيروا .. ولكن الانسان بطبيعة تكوينه قاصر عن أن يحيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد - وخالق البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك - وهو المنزه عن كل نقص أو قصور - كما أنه المنزه عن أن يكون له غرض خاص أو مصلحة خاصة ..
ومع هذا ، فإن المجرم في المجتمعات التي لا تطبق شرع الله ينال عقوبات أقسى مما يناله في ظل الحدود الاسلامية - إذ أن المجتمع يقف أمام المعتدي محاولاً أن يمنعه من جريمته - وبالتالي فإن المجرم يستخدم ذكاه - ويستخدم القوة في صورة أقسى ضد المجتمع فينال المجرم من صراعه مع المجتمع أضعاف العقوبة الالهية - ويلقي المجتمع الذي لم يسر على منهج الله تعالى ألواناً من المتاعب الجسمية والنفسية إلى جانب أعداد من الضحايا وفقدان الأمن والاطمئنان .
ومن يبحث في أحوال المجتمعات الانسانية المعاصرة ويرى ما تطبقه من أدوات وأجهزة ووسائل وما تستخدمه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات ضخمة بعضها علمي وبعضها تربوي وبعضها فني - إلى جانب ما تضع السياسة العامة لهذه المجتمعات من مؤسسات بعضها سياسي وبعضها تشريعي وبعضها تنفيذي وبعضها قضائي - ثم يرى ما تعانيه هذه المجتمعات مع هذا كله من فقدان للأمن يصاب بخيبة أمل .

نعم ، إن المجتمعات الحديثة تعاني ما تعاني من اضطرابات اجتماعية - وعدم وجود أمن واستقرار فيها - ومن ينظر إلى ألوان الجرائم التي تنتشر هنا وهناك

بصورة مخيفة يجد الجرائم بكل صورها - بكل عنفها - بكل ما فيها من حنق على المجتمعات - ويتمثل هذا في عصابات السرقة والسطو والسلب بالاكراه والاعتصاب بالقوة ، ثم إلى الاختطاف والتهديد والاعتقالات الفردية والجماعية - وهذه العصابات تتسلح تسلحاً قوياً ، وتخطط وتنفذ في تحد لكل أجهزة الدولة الأمنية - بل والشرطة العالمية في كثير من الأحيان .

وإلى جانب هذا جرائم أخرى هي في نظر القوانين الوضعية محققة ولكن أثارها في المجتمعات كبير من ذلك السكر وما يقترب بسببه أحيانا تحت شعاره - واصبحت كل أجهزة الأمن الحديثة قاصرة عن تحقيق الأمن لمواطنيها .

والحدود الإسلامية حينما تصبح تشريعاً نافذاً يلتزم به الأفراد ويطبقه المجتمع ويصبح معلوماً للناس جميعاً أنه من قتل يقتل وأن من سرق يقطع وهكذا ، فإن كل شيء سيسير على النظام الذي يحقق الأمن والاستقرار - هذا إلى جانب التربية الإسلامية التي تقوي الضمير وترتبط بالفرد بالله تعالى على امتداد الأزمان والأماكن ، فالتربية والتشريع الحدودي يرسمان للمجتمع الإسلامي الأمن والهدوء والاستقرار - وذلك أعز ما في هذه الحياة .

فالأمن أهم شيء في هذه الحياة ، ولا يحس به أو بأهميته وبقيمته إلا من افتقده في هذه الحياة .

والعصر الحديث يتميز بافتقاد الأمن ، وهذا ما دعا إلى إنشاء لجنة في باريس لدراسة العنف برئاسة وزير العدل بيريفيت ، وقد جاء في هذه الدراسة ما يأتي : العنف الناتج عن الشعور بعدم الأمان الذي ساد في الفترة الأخيرة هو العنف الاجرامي والاقتصادي - العمل - الرياضة - الحروب - الارهاب السياسي - وسبب أعمال العنف : الضغط السكاني ، والمعدل الكبير للحياة المعاصرة وإغراء المال - وعدم وجود القيم - وقد ظهر أن ٦٩٪ من العينات لا يلجأون إلى الشرطة لحل مشكلاتهم لأنهم لا يتقنون في إمكاناتها ، وأن ٢٠٪ من أفراد العينة تدرب على الكاراتيه والجودو ليدافعوا عن أنفسهم ، وأن ١٢٪ أحكموا إغلاق أبوابهم ، وأن ٦٠٪ يملكون أسلحة مرخصة للدفاع عن أنفسهم - وظهر أن بعض الناس يطلقون النار على بعض الأشخاص مجرد قيامهم ببعض الضوضاء وذلك بسبب الضيق والتوتر والقلق .

ويستمر التقرير قائلاً : والعنف أخذ في النمو بمعدلات متقاربة في جميع الدول الصناعية ما عدا اليابان - وقد ظهر أن ٢٥٪ تواتيهم الرغبة في ضرب إنسان أي إنسان مرة على الأقل كل أسبوع .. وأن نصف سكان باريس اعترفوا بأنهم يتعاركون بشكل مستمر مع أحد أفراد العائلة - وقد سجل عام ١٩٧٦ أن ٣٥,٤٠٠ جهاز تلفزيون تم تحطيمها وأن ١١٥١ جهازاً قد سرقت - وأن نسبة الانتحار تأتي في المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث - وتعاطي الخمر والادمان يماثلان الانتحار - وهناك احصاءات تستحق الدراسة الدقيقة لرسم العلاج فقد جاء في هذه الدراسة تحت عنوان : المجتمع الفرنسي يخشى شبابه انه في

عام ١٩٧٥ سجل أن ٨٦٪ من مقترفي الجرائم وبخاصة جرائم السطو والسرقة باستخدام الأسلحة من الشباب أقل من ٣٠ عاما . وأن ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٥ عاما وأن ٢٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٠ عاما وقالت الدراسة ان عدم العدالة ظاهرة منتشرة وتمتد إلى مجالات الثقافة والبيئة والفراغ - وتوجد علاقة مباشرة بين عدم العدالة والعنف - وقد يكون تعبيراً عن عدم الرضا عن الظلم ومحاولة لتحقيق العدالة .

الغش الضريبي وتهرب الأثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضريبية مما ينتج عنه عدم المساواة وينعكس هذا على النفوس - وقد ظهر من هذا التقرير أن ١ من ٢ ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه - وأن ١ من ٤ ممن يرتكبون جرائم السرقة يقبض عليه وأن ١ من ٦ ممن يرتكبون جرائم السطو يقبض عليه - كما ظهر أن ٧١٪ من السكان يرون أن العدالة تسير بشكل سيء - وظهر أيضا من نتائج هذه الدراسة - أن ظهور حالات العنف داخل الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل أحدهما سلبي يتمثل في الخوف والتوتر النفسي عند المواطنين والآخر إيجابي يتمثل في مقابلة العنف بالعنف - كما ظهر أن نسبة الجرائم عام ٧٧/٧٦ كانت على النظام الآتي :

- من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة ٦٪
- من ١٣ - ١٤ سنة ٩٠,٤٪
- من ١٤ - ١٥ سنة ٩٠,٩٪
- من ١٥ - ١٦ سنة ١٥,٥٠٪
- من ١٦ - ١٧ سنة ٢٥٪
- من ١٧ - ١٨ سنة ٣٨,٧٪

على أن العجب العجيب يظهر في التوصيات التي أوصت بها اللجنة المسؤولين والتي تتلخص في العناية بالهوايات وفي تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدي إلى امتصاص الفراغ - وفي الاهتمام بتكوين المعلم وفي الحماية القضائية للشباب الذي ارتكب الجرائم وفي إقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التي تخدمهم ، وفي العناية برسالة التلفزيون ..

أوليس من العجيب أن تكون كل هذه هي كل التوصيات التي توقف هذه الجرائم ؟ أين أسلوب التربية التكويني ؟ وأين الأسلوب العلاجي الذي يقف أمام هذه التيارات ؟ إنه أسلوب قاصر لن ينجح في إصلاح ما فسد ؟ وهذا نوع من الجرائم فأين أنواع الجرائم الأخرى ؟ لكن الاسلام له أسلوب في التربية وأسلوب في العلاج .

الأسلوب الاسلامي في التربية :

والاسلام - لأنه من الله سبحانه وتعالى - يتوخى في تشريعاته مواءمة الفطرة

الانسانية - وقد اتخذ لذلك أسلوبين يسيران جنباً إلى جنب حتى يتحقق بذلك الأمن للفرد والمجتمع .

الأسلوب الأول : تكويني : وهو مهمة التربية الاسلامية - وهو عبارة عن بناء الفرد المسلم من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية وربطه بالله سبحانه وتعالى فيقوى بذلك ضميره على محاسبته نفسه ومراقبته لله تعالى ، ثم في رسم الطريق الذي ينهجه وفي سلوكه الذي يسير عليه في هذه الحياة ، وبذلك يستنفذ طاقاته في مسالك سليمة لا يضل من يلتزمها - وتعود بذلك الفائدة على الفرد وعلى المجتمع في وقت واحد .

ثم إن الاسلام يقوم على أساس متين من العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الكامل بين أفراد المجتمع الاسلامي على نحو يتيح لكل فرد أن ينال حقه كاملاً في الحياة الانسانية التي تليق بالبشر سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أم من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

والتكافل في الاسلام يفرض منذ البداية أن يقوم كل إنسان بواجبه أولاً فإذا ما تمت هذه الخطوة فليس هناك من يحتاج إلى المطالبة لحق لأن في أداء الواجبات من الأفراد ومن المجتمع اتیاناً للحقوق - حقوق كل فرد - فلا يجد نفسه في حاجة لأن يطلب شيئاً - فإذا لم ينل حقوقه أمكنه أن يطالب بها وسيجد أذانا صاغية وأعدارا واضحة تبين له سبب عدم حصوله على حقوقه .

وإذا ما غابت العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي لسبب أو لآخر فانحرف بعض الأفراد في هذه الظروف الطارئة استتبعها إعادة النظر إلى المواقف في ضوء الوضع القائم .

والأسلوب الثاني : علاجي : ويظهر في مواجهة ما يبدو من شذوذ خارج عن الفطرة أو انحراف طارئ على استقامتها - وذلك يظهر حين يكون هناك خلل في بناء الفرد أو نتيجة لعوامل أتاح لها ضعف الانسان تأثيراً وقتياً لا يلبث أن ينتهي متى ووجه بما وضعه الله تعالى خالق الانسان من طرق العلاج التي تبدو قاسية - وإن كانت في حقيقة الأمر هي الرحمة بعينها .

والحدود الاسلامية لابد وأن تدخل ميدان التربية الاسلامية حتى تصبح جزءاً أساسياً في تكوين أفكار الناشئة وفي ضمائرهم وتتفعل بها وجداناتهم - وهذا كله يحقق معنى التقوى التي يطلبها الاسلام من كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي - والتقوى معناها ان يفعل المسلم كل ما يأمره الله به وان يجتنب كل ما نهاه عنه - ومعنى هذا أن يستجيب ضمير المسلم للخير والحق والعدل - وهذا أعظم ركيزة في المجتمع الاسلامي لأن المسلم يسير على النهج السليم الذي يقربه من معاني القوة والفضيلة ويبعده عن الانحراف واقتراف الآثام التي تحدث الخلل في المجتمع .

والحدود وحدها لا تنشئ مجتمعا آمنا سليما - ولا تبعث في النفوس الهدوء والاطمئنان وإنما دورها الاسهام في المحافظة على أمنه واستقراره للذين قاما أصلا نتيجة لبنائه على أصول الاسلام ومبادئه .

وليس من المعقول أن يؤتي بالحدود الاسلامية لاقامتها في مجتمع لا يسير على نظام الاسلام .. ولا يعني فيه بالتربية الاسلامية ، ولا يحقق في النفوس التقوى ، ولا يقوي الضمير ، ولا يربطه بالله تعالى إنه إذن الخل بعينه - الخل الذي يظهر الحدود الاسلامية بمظهر القسوة على المنحرفين - لأن الانحراف بكل ألوانه منتشر في المجتمع - ومن هنا تزداد المخاوف وتظهر آثار ما يقولون .. ولكن الحدود الاسلامية في ظل المجتمع الاسلامي الذي يقوم على أسس التربية الاسلامية الذي يطبق تعاليم الاسلام مفيد إفادة هائلة في إيقاف الانحراف ، وفي ضمان الأمن للفرد والمجتمع .

والحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني ، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال والأديان السماوية تلتقي حول تقديس هذه المقومات - ذلك لأن الدين هو غاية هذه الحياة وهو الذي يجعل الانسان يحقق خلافة الله في الأرض - فيعمرها وينشر العدالة والأمن فيها - كما أن النفس بها قوام الوجود - وبغيرها لا يكون هناك حياة ، وبالتالي لا يستطيع الانسان أن يحقق رسالته في هذا الكون ، والعقل لأن به قوام إنسانية الانسان الكامل - وبغيره يصبح الانسان كالحيوانات - والذين لا يستطيعون أن يحققوا لأنفسهم ولا لمجتمعهم شيئا يقوم على التفكير والفهم والبناء - والعرض لأنه جماع ما يمدح به الانسان أو يذم - وهو مناط الكرامة والاحترام بين الناس - والمال لأنه قوام الحياة في بعدها المادي القائم على إشباع حاجات الجسد - ثم إنه أداة لتطهير الروح وتركيز النفس .. وإذا أمن الفرد في المجتمع على هذه الأشياء كلها فقد استراح قلبه ، وهذأت نفسه واطمأنت روحه وبالتالي أصبح المجتمع كله مجتمع أمن وسلام واطمئنان .

ولهذا كله كانت الحدود الاسلامية حقا لله عز وجل لا يجوز للحاكم أن يتنازل عنها حتى ولو تنازل المجني عليه عن حقه - ومن هنا ، فإن المجرم يعرف أن أحدا لن ينفعه في منع توقيع الحد عليه ولا يساومه على ذلك - وبذلك يحدث توازن نفسي بين الدوافع للجريمة ، والموانع التي تقف أمامها وسيبقى بعد ذلك الشرير الشاذ الذي لا يبالي بالمجتمع ، ولا يفكر في عاقبة عمله - وهذا الصنف هو الذي يتعامل الاسلام معه بالحدود .

الحدود تقيم التوازن بين الفرد والمجتمع :

يتحدث الدكتور الذهبي رحمه الله عن هذه الناحية فيقول : إن الحدود تقام على مبدئين : المبدأ النفسي والمبدأ الاجتماعي .

والمبدأ النفسي بحكم طبيعته مسرح لصراع مستمر بين دوافع الخير ونزعات الشرف فيه ، وهو معرض لعوامل كثيرة قد تميل به إلى هذه الناحية أو تلك ، فإذا ما كان متوازنا - بأن تكون عوامل الخير فيه مهيمنة أو أن هناك عوامل مناهضة لعوامل الشرف فيه - أمكنه أن يبتعد عن الانحراف - والحدود من العوامل التي تحقق هذا التوازن إلى جانب التربية السليمة ، والبيئة الصالحة ، والرغبة في ثواب الله - فعامل الرغبة وعامل الرهبة كلاهما يؤثر على النفس إيجابا أو سلبا في ناحيتين مختلفتين - فإذا ما هم مسلم بشرب الخمر مثلا فتمائل له ما أعده الله للمتقين فينشط الوازع النفسي فيه فيكف عن شرب الخمر ، فإذا لم يفد هذا فعامل الرهبة يؤدي الى نفس النتيجة من طريق آخر وهو الخوف من عقاب الله في الآخرة ، أو من عقاب المجتمع في الدنيا - فهو يوازن بين ما ينال من لذة شرب الخمر وما يصيبه من عقاب بالحد عليه وسوف يصرفه ذلك عن شربها - وهذا يثمر اذا كان العقاب رادعا يزيد عن اللذة الوقتية والاتوافرت الجراءة على الاقتراف - وفي مجال الترغيب بالثواب ، يقول الله تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**) الكهف/ ١٠٧ وفي التهيب بالعقاب يقول الله تعالى : (**قَوْلِ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**) الماعون ٥/٤ ، ولا يغني واحد منهما عن الآخر - ومن هنا كان اهتمام القرآن في مزجه وربطه الوثيق بين عنصرى الترغيب والتهيب في كل الأحوال أمرا أو نهيا - ولأن المزج يتيح للنفس من عوامل التوازن والسيطرة على بواعثها ودوافعها ما تتمكن به من شحذ إرادتها في مجال الاختيار والترجيح - ذلك لأن الدوافع التي تحرك لارتكاب الذنوب الموجبة للحد هي دوافع بالغة المدى من حيث تأثيرها في الغرائز والميول الفطرية الأولى التي جاء الدين وكل المقومات الفطرية لتهيئتها في الانسان - ودور الحدود دور بنائي يسهم في تكوين الفرد وتنشئته من جهة ، ودور وقائي يمنع الكثرة الغالبة من الأفراد على جرائم الحدود من جهة أخرى .

والمبدأ الثاني هو المبدأ الاجتماعي فالحدود حق الله - ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمتخاصمين إسقاطه بالعفو أو التراخي - وإلى جانب هذا فللحد قدسيته وهيبته حين جعله الله تعالى حقا له - وجعل العدوان عليه عدوانا على حمى الله ، كما جعل تعظيمه تعظيما لأمر إلهي (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**) الحج/ ٣٠ هذه القدسية « حق الله » متى استقرت في نفس مؤمنة كانت حاجزا قويا يحول بين صاحبه وبين الاقتراب منها - ثم إن العدوان الذي وقع وهو موجب لحد من الحدود هو عدوان على الجماعة كلها - وهذا واضح في قوله تعالى : (**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/ ٣٢ ، ولعل ما يحدث الآن في المجتمعات الغربية من اجتراء على القتل يشرح لنا هذه الآية شرحا يبين لنا أبعادها والخطورة التي تترتب على الاجتراء على القتل .

والخطاب في آيات الحدود موجه للجماعة وهذا يوضح واجبها في إقامة الحد والمحافظة على ذلك فهي ليست منازعات شخصية ، وليست حقوقا شخصية خاصة ، إنها حق المجتمع ، إنها حدود الله التي يجب على المجتمع الاسلامي إقامتها .

إن الحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال - وفي حماية الدين أوجب الله تعالى حد الردة ، وفي حماية النفس أوجب حد القصاص ، وفي حماية العقل أوجب حد الخمر ، وفي حماية العرض أوجب حد الزنا وحد القذف ، وفي حماية المال أوجب حد السرقة والحرابة .

حد الردة :

الاسلام يعطي الحرية الكاملة لأي إنسان في أن يعتنق الاسلام أو لا يعتنقه ، وقالها الاسلام صريحة : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) البقرة/ ٢٥٦ - ولكن الانسان إذا دخل الاسلام فليس من حقه أن يرجع بعد ذلك لأنه قد التزم بدخول الاسلام بالتزامات أمام الله تعالى وأمام المجتمع الذي يعيش فيه وفي العصر الحديث الانسان الذي يلتزم ويحل بالتزاماته أمام الدولة له عقوبات قد تصل إلى الاعدام وفي الدول الملحدة المعاصرة يعتبر أن من يعود إلى دين كان عليه قبل ذلك بل أن يترك الحزب فقط خائنا للحزب رافضا لفلسفته وينال ألوانا من التعذيب وتوقع عليه عقوبات قد تصل إلى الاعدام ومع ذلك فان هذه الدول تنكر على مجتمع مؤمن يريد أن يؤمن حقه في حماية نفسه من عبث العابثين المتلاعبين وخطر الخارجين عليه - هذا من زاوية - ومن زاوية أخرى فالمرتد قد قام بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة أهلها ، ورسم طريق الجرأة لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم ويشككوا الضعاف في عقيدتهم وهذه كلها جرائم . وقد قص علينا القرآن الكريم من مواقف أهل الكتاب ما يؤكد هذه المعاني (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) آل عمران/ ٧٢ .

وحد الردة يغلُق الباب أمام من يريد إفساد الاسلام من داخله أو التجسس عليه ، وقد عانى الاسلام كثيرا ممن أخفوا الكفر وأظهروا الايمان .

حد القتل :

عقوبة الاعدام من أقدم العقوبات - ومنذ القرن الثامن عشر - بدأ بعض الكتاب

يعترض عليها ويطالب بالغائها - ثم تراجعت حركة الالغاء في بعض الدول تحت تأثير العوامل السياسية ونظم الحكم الداخلية والاعتبارات المحلية - ولا يزال كثير من التشريعات يقرر عقوبة الاعدام مثل التشريع الفرنسي والتشريع السوفييتي - وهناك تشريعات ألغت عقوبة الاعدام مثل التشريع النرويجي والسويدي والنمساوي والدانمركي ولكن كثيرا من التشريعات التي ألغت عقوبة الاعدام عادت ففقرتها حينما شعرت بالحاجة إليها - ومن ذلك التشريع الايطالي الذي ألغاه عام ١٩٣٠ ثم عاد إلى اقرارها مرة أخرى عام ١٩٤٧ ، والتشريع السوفييتي الذي ألغاه عام ١٩٤٧ ثم عاد إلى إقرارها عام ١٩٥٨ في قانون العقوبات الاتحادي .

وهكذا تضطر التشريعات البشرية إلى التغيير - لأن نظرتها قاصرة ولأنها تتأثر بأوضاع المجتمع المختلفة على عكس التشريع الالهي - وإذا كان الأعدام كما يرى بعض المتحضرين وهو يوقع على مجرم يتسم بالقسوة والبشاعة ، فان الاعتداء على المجني عليه وهو شخص برىء يكون اشد قسوة واكثر بشاعة .

والاسلام يبين السبب في صورة واضحة بقوله : (ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب) البقرة/١٧٩ . ويبين فرض حد القصاص في قوله : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) البقرة/١٧٨ ..

والقرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ويتوعد فاعله بأشد ألوان العذاب والعقاب فيقول : (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) المائدة/٣٢ ، كما بين أن قتل النفس جريمة كبرى جزاؤها جهنم عند الله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) النساء/٩٣ .

والرجل الذي يريد ان يقتل - حين يعلم أن جزاءه القتل - فانه سيتدرد مرة ومرات قبل أن يقدم على جريمته .. والقرآن نص على أن القصاص فيه حياة للناس - (أنهم كانوا يعقلون هذه المعاني ، ولكن القاتل إذا علم أنه سيعاقب بعقوبة أقل فانه سيندفع الى ارتكاب الجريمة باصرار وعنف أكبر حتى ولو كانت العقوبة هي السجن المؤبد - وقد أصبح من الأقوال المأثورة في بعض البلاد الاسلامية « سأقتلك وأروح فيك مؤبد » أي أن هذه العقوبة هيئة وهو مستعد لأن يتحملها .

وفي بعض البلاد الاسلامية التي لا تطبق القانون الالهي نجد أن أهالي القتل يتولون الأخذ بالتأثر عندما يجدون أن العدالة لم تقتص لهم ، وإعتقادا منهم بأن الأحكام التي وردت في القوانين الوضعية لا تشفي غليلهم - ويستمر التأثر من هذه الأسرة ومن تلك - وتحدث مجازر يتولى الجيش أحيانا الوقوف بين الفريقين المتنازعين لوضع حد لهذه الأمور ، وقد يدخل معهم في معركة يقتل فيها العديد من

جميع الأطراف .

ولكن القصاص في الاسلام يحقق العدالة بين الناس - كما يحقق الأمن للفرد والمجتمع الى جانب الراحة النفسية - والرسول الكريم يبين لنا رأي الاسلام في قتل فرد واحد بدون حق وذلك حين يقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » رواه مسلم - بل إن تخويف المسلم حرام يقول الرسول الكريم : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » رواه الطبراني .

والقتل من الحدود الاسلامية التي راعى الاسلام فيها حق الله وحق ولي الدم ، وقد رجح الاسلام جانب مصلحة ولي الدم على جانب مصلحة المجتمع ، ولهذا فقد أعطى الاسلام ولي الدم حق توقيع العقوبة أو العفو عنها - وفي هذه الحالة يجوز للقاضي التعزير - ويكون لأولياء الدم الدية - والتشريعات الحديثة تعتبر القتل حقاً للمجتمع ، مع أنه أساساً يقع على المجني عليه وعلى أهله - وتمكينهم من القصاص أو العفو يطفىء غلتهم ويريح أنفسهم .

حد الخمر :

الاسلام يحترم عقل الانسان الذي يتميز به على سائر مخلوقات الله ، وبوساطته يحقق رسالته في هذه الحياة ، والمسلم ليس حراً في نفسه يفعل بها ما يشاء لأنه ليس ملكاً لنفسه - بل هو ملك للرسالة التي يؤديها في عمارة الكون باعتباره خليفة لله في الأرض ، على عكس المجتمعات البشرية التي ترى أن الانسان حر في نفسه يفعل بها ما يشاء ، ومن هنا فقد حرم الاسلام على المسلم استعمال كل ما يغيب العقل من شراب مسكر أو مخدرات أو غير ذلك حتى يحتفظ بهذه النعمة الكبرى - ومن زاوية أخرى فإن الانسان إذا غاب عقله ارتكب اشياء تعود بالضرر على الفرد وعلى الأسرة ثم على المجتمع كله - ولو تصورنا شعباً من السكارى لأدركنا ما يكون عليه حال هذا الشعب من فقد الأمن والسعادة والطمأنينة - إلى جانب الاصابة بالجنون والأمراض العصبية والنفسية والجسمية .

وكثير من الدول ادرك هذه الخطورة ، وقامت محاولات شتى لمنع هذا الشراب أو الاقلال من استخدامه ولكن دون جدوى .

وأمرिका قامت في هذا المجال بتجربة تتلخص في أنها شرعت قانوناً يحرم الخمر عام ١٩٣٠ - بعد دعاية واسعة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام مدعومة بالاحصاءات الدقيقة والبحوث العلمية والطبيعية - واشترك في هذه الحملة كثير من الخبراء في جميع المجالات الصحية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية وأنفق على الدعاية ٦٥ مليوناً من الدولارات - وقتل في سبيل تنفيذ القانون حتى عام ١٩٣٣ مائتا شخص وبلغت الغرامات التي جمعت من المخالفين مليونين من الدولارات ، كما صودرت - أموال - بسبب المخالفات - تقدر بستمئة مليون

دولار ، ومع هذا كله فقد فشلت الولايات المتحدة في تنفيذ هذا القانون فشلا ذريعا الأمر الذي جعلها تقوم بالغائه في أواخر عام ١٩٣٣ .

ولكن التجربة الاسلامية نجحت نجاحا رائعا بدون إراقة دماء أو حبس للشاربين أو تحصيل غرامات ذلك لأنها بدأت بتقوية الوازع الديني عند الفرد وعند المجتمع ، فأصبح للضمير سلطان كبير على النفوس ، وهم يريدون إرضاء ربهم ولذلك فحين نزلت الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة / ٩٠ ، ٩١ كان جواب المؤمنين على هذه الآية الكريمة : انتهينا ربنا انتهينا ربنا ، ولم يكن الكلام باللسان بل إنهم أراقوا زجاجات الخمر امتثالاً لأمر الله - وكان الواحد منهم إذا كان الكأس في يده وقد شرب بعضها نزع الكأس من فيه وأفرغها على الأرض .

وبعد ذلك يأتي الحد للمنحرفين حتى يحميهم من انحرافهم وحتى يحمي المجتمع أيضا من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة على الفرد والمجتمع وفي الحديث الشريف « من شرب خمرا فاجلدوه فان عاد فاجلدوه » .

ولكي يسد الاسلام هذا الباب نهائيا فانه لم يحرم شرب الخمر فقط ، بل إنه حرم كل ما يتصل به من بيع أو شراء أو صناعة أو غير ذلك ، ولذلك فقد لعن النبي صلوات الله وسلامه عليه في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها - والمحمولة اليه وساقها وبائعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له (الترمذي وابن ماجة .

بل أكثر من هذا ، فقد حرم بيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرا - كما حرم مجالس الخمر وفي ذلك روى عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) رواه احمد .

ولا تزال الاكتشافات الحديثة تظهر لنا أضرار تعاطي الخمر ، ومن ذلك أن استاذا فرنسيا حاضر طلبة كلية طب الدار البيضاء بالمغرب عن مرض تشمع الكبد ، وهو مرض خطير يعتبر الخمر من أسبابه القوية وكان مما قاله : « إنكم أيها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما أصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، وليكن مسك الختام أن اقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » وقد أوردت الوزارة الامريكية تقريراً اقتصادياً يشير إلى أن تناول الشعب الأمريكي للخمر يسبب خسائر باهظة للاقتصاد الأمريكي قيمتها ٧٦ بليون دولار سنوياً بين خسائر مادية ونقص في الانتاج وقيمة علاج الأمراض التي تنتج عن تعاطي الخمر ، وأكد التقرير أن الخمر تسهم بشكل أو بآخر في الإصابة بالسرطان واضطراب وأمراض القلب ..

والعلم الحديث يبين لنا أن مضار الخمر تأتي من أنه عقب شربها مباشرة تمتصها الامعاء الدقيقة بسرعة كبيرة وترفعها إلى مستويات عالية بالدم في وقت قصير جدا ، وعن طريق الدم يتم توزيع مادة الكحول على جميع اجزاء الجسم بما فيها المخ والرئتين ، ويبقى الكحول بعد ذلك لمدة ثماني عشرة ساعة بعد شرب الخمر - وبذلك يتأثر جسم شارب الخمر وعقله دفعة واحدة في آن واحد .

فمن الناحية البدنية تتغير خلايا الجسم لتكيف نفسها مع الكحول ، وتصبح عاملة بأقل من طاقتها الطبيعية - كما يصاب الشارب بعسر الهضم وضعف الأعصاب وألمها وبخاصة أعصاب الساقين - والكبد يعاني من التغيرات الكثيرة ويبدأ به مرض التليف الكبدي الذي يؤدي الى الاغماء والموت ، ويصاب شارب الخمر بصداق قاس ودوار وغثيان وقىء ، وتتأثر الأذن الوسطى فيفقد الجسم اتزانه ثم يعتاد شرب الخمر فتزداد الجرعات إلى أن يصل إلى فقد كامل للذاكرة ، وفي الصباح ينسى كل ما قاله او فعله - وقد ينتهي به الحال إلى أن يتلف عقله ويهمل نفسه وأسرته فلا يشعر بمسؤولياته الاجتماعية ثم يصبح غير خجل من أي فعل يرتكبه ، وهذه أعراض مرض التسمم الكحولي الذي يعتبر أخطر ما يتعرض له شارب الخمر وهذه الأمراض غير مرتبطة بالانتظام فقد يصاب بها من يشربها لأول مرة في حياته ، ومرض التسمم الكحولي من الأمراض غير القابلة للشفاء ، وقد وصلت نسبة الاصابة بها في الولايات المتحدة الامريكية إلى ٤٪ من السكان وتليها فرنسا والسويد وسويسرا والدانمرك وكندا والنرويج وفنلندا واستراليا وانجلترا وايطاليا .

وشرب الخمر ينشر الفساد والاعتداء على الأموال والأنفس والأعراض ، ولم ينج من ذلك أمهات وأخوات المخمورين ، ولذلك فان الاسلام لا يرفع المسؤولية عن شارب الخمر عند ارتكابه لأية جريمة وهو تحت تأثير الخمر كما تفعل التشريعات الحديثة .

العرض :

أجمعت الأديان السماوية على تحريم الزنا لما فيه من الحط بكرامة الانسان وجعله كالبهائم ، مع أن بعض البهائم تأبى هذا السلوك ، وإلى جانب هذا انحلال الأسر ، وتفكك الروابط وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات بين أفراد المجتمع ، وبالتالي إنهاء الأخلاق وإختلاط الأنساب ، ومن هنا فقد حرم الاسلام الزنا ، بل لقد حرم كل المقدمات التي توصل إليه (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) الاسراء/٣٢ - والاسلام يعني بنظافة المجتمع وطهارته وسلامة الأعراض والأخلاق ، فاذا كانت هذه الأمور مطلوبة فالوسائل التي توصل إليها مطلوبة - ولو ترك الاسلام ذلك فان إنتشار هذا الانحراف قد يؤثر في المجتمع الاسلامي في رؤية المنكرات فتبعده عن الحمية الدينية والعصبية الاسلامية وفي

هذا خطورة على المجتمع الاسلامي ، والفواحش هي السبب الأساسي للعدوى بالأمراض الزهرية وما ينتج عن ذلك من تعطيل للعمل وصرف للأموال في العلاج ، ثم عزوف الشباب والشابات عن الزواج وبناء الأسرة واستنفاد الطاقة التي خلقها الله في هدف واحد قريب وإهمال النواحي الأخرى .

ومن اهتمام الاسلام بالعرض أنه جعل عقوبة أدبية للزاني إلى جانب العقوبة المادية ، ذلك أنه حرم زواج الزاني أو الزانية من غير صنفهما فقال : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) النور/ ٣ - وذلك لون من ألوان الحرمان من الحقوق الأدبية - فالنكاح سبب المودة والرحمة فكيف يكون الخبيث زوجا للطيب ؟ وكيف يمكن أن يكون أحدهما سكنا للآخر ؟ ومنه أيضا أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وفي هذا إيلاء لنفسيهما بعد إيلاء جسميهما ، فضربهما أمام الناس يجعل العار أبلغ - وفي هذا شهادة عامة بين الناس جميعا بأنهما قد تجردا من إنسانيتيهما فلا حق لهما في إعادة الاعتبار ، وشهادة مجموعة من الناس للحد ضروري لتحقيق أثره وغايته في الزجر - وقد شددت العقوبة على الزاني المحصن ذلك لأن الاحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فإذا ما فكر فيه بعد ذلك فانما يدل تفكيره فيه على قوة اشتهاؤه للذة المحرمة ، فوجب أن تكون العقوبة فيها من قوة العذاب ما يجعل الانسان إذا ما فكر في اللذة المحرمة وذكر معها العقوبة المقررة تغلب التفكير في العقوبة على التفكير في اللذة المحرمة .

والقذف كما يرى الاسلام هدم معنوي للمسلم الذي يوجه إليه - والألم الذي يصيب المذدوف من جرائه ألم نفسي بالغ الأثر ، والقذف عادة تضعف لديه الضوابط الخلقية التي تجعله يقف عند حدوده والعقاب البدني الذي قرره الاسلام وقتي لا تلبث آثاره ان تزول بينما أثار القذف النفسية مستمرة لفترات طويلة ، ولهذا تضمن حد القذف عنصرا يمثل الإيلاء النفسي ، ويصم القاذف وصمة أخلاقية باقية تطارده في المجتمع الاسلامي إلى أن يتوب ، ويتجلى هذا في إهدار أهليته للشهادة في أي وقت فهو وصف غير مباشر بأنه كذاب .. ولا تعاقب الشريعة على القذف إلا إذا كان محض إختلاق ، فان كان تقريراً للواقع فلا جريمة ، كمن يقذف امرأة بالزنا وقد سبق أن وقعت عليها عقوبة الزنا أو كان معها ولد لا يعرف له أب .

السرقه :

الاسلام كفّل لكل فرد من أفراد المجتمع ما يكفيه سواء أكان مسلماً أم غير مسلم ، وقد كفّل عمر بن الخطاب لكل مولود ما يكفيه من بيت المال ، كما كفّل لكل فرد غير قادر ما يحتاج إليه وأسرته وقد وجد عمر يهودياً ضريراً يسأل الناس ،

وحين سألته لماذا تفعل هذا ؟ قال اليهودي : الحاجة والجزية فأخذ عمر بيده وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وقال : انظر هذا وضرباه فأعطاهم ما يكفيهم ثم قال : ما أنصفنا هذا وضرباه إن أخذنا شببيته وتركناه عند الكبر ، وقد كتب عمر ابن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة عامله بالبصرة قائلاً : (وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وزالت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه فقد بلغني أن عمر بن الخطاب مر بشيخ من أهل الذمة يسأل فقال له : ما أنصفناك إن أخذنا منك الجزية في شببيتك ثم ضيعناك عند الكبر ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ..

ومن هنا فإن السارق بعد ذلك يعتبر خائنًا ، والسارق الخائن لا بد وأن يلقي جزاءه ، وجزاء اليد التي تخون قطعها كما قضى بذلك رب العزة ، والحد في الاسلام مقصود به الزجر والاصلاح واستقرار المجتمع والأمان - ولو أن علماء النفس في مجتمعاتنا المعاصرة قاموا بالدراسات الكاملة لنفسية الانسان وعقليته وصالح الجماعات لوجدوا أن الحدود هي أعدل العقوبات ، ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد : أن أبا العلاء المعري لفت نظره الفرق بين دية اليد والمبلغ الذي تقطع فيه فقال :

يد بخمس مئتين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار؟

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي اجابة تدل على الفهم العميق لحكمة الاسلام :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

على أن ظروف الجريمة قد تدعو للنظر في إقامة الحد ، وذلك إذا كان السارق مضطراً إلى السرقة ولذلك فإن عمر بن الخطاب لم يقطع غلمان حاطب بن بلتعة الذين سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، إذ أن عمر أدرك علة الحكم وفهم حكمته وشروط تطبيقه - والقاعدة الفقهية المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) باقية - ولم يكتف عمر بعدم القطع بل قال يخاطب عبدالرحمن بن حاطب : والله لولا أنني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لقطعت أيديهم وغرمة ضعف ثمن الناقة تأديباً له .

كما أن الظروف العامة إذا كانت غير كافية لاعطاء كل فرد من أفراد المجتمع كفايته فإن هذا يدخل في الباب السابق ، ولذلك أوقف عمر حد السرقة في عام المجاعة لاضطرار الناس إلى ذلك .

والمجتمعات الحديثة المتحضرة لازالت تتخبط في تقنين العقوبة المناسبة للسرقة ، ذلك لأن التشريع البشري يتأثر بأشياء كثيرة ، أما التشريع الالهي فهو ثابت لا يتأثر بشيء ، وقد اضطر الاتحاد السوفييتي إلى تشديد عقوبة السرقة فقرر

إعدام السارق رميا بالرصاص ، وهي أقصى عقوبة ممكنة ، وقد ورد في الأهرام القاهرية عدد ١٤/٨/١٩٦٣ ان الاتحاد السوفييتي أعدم ثلاثة أشخاص رميا بالرصاص لاتهامهم بالسرقة .. ومع ذلك فلم يتهمه أحد بالقسوة أو الوحشية . والسجون التي تستخدمها بعض الدول عقابا للساقرين أصبحت مدارس يتعلم فيها الصغار أنواع السرقة ، ويتبادل فيها الكبار خبراتهم في هذا الميدان ، وحتى الذين لم يدخلوا السجن بسبب هذه الجريمة فانهم يتعلمونها عن طريق اختلاطهم بأصحاب هذه المهنة .

وقطع يد السارق يعني تعطيل أداة رئيسية من أدوات الجريمة وتجريده من سلاح العدوان والمقاومة إذا أضيف إليه ما يحدث قطعها من تنبيه وتحذير .. ومعنى السرقة الأخذ عن طريق الاستخفاء والمال في حرز وقدره عشرة دراهم أو ربع دينار - وإذا كان السارق يريد زيادة الكسب عن طريق حرام ، فان قطع اليد لازمة لأنها ستمنعه من ذلك .

الحرابة :

الحرابة معناها الخروج على المارة لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة ، مما يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور ، وانقطاع الطريق ، سواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة بسلاح أو غيره ، ويسمى مرتكب هذه الجريمة بالمحارب وتسمى الجريمة بالحرابة .. والعقوبة المحددة أن يقتل الجاني أو يصلب إذا قتل وأخذ المال ، والقتل بلا صلب إذا قتل ولم يأخذ المال ، وقطع يد المحارب ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل ، والنفي من الأرض إذا خاف الطريق ولم يقتل ولم يأخذ مالا .. وهذه العقوبات مقررة في قوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) المائدة/ ٣٣ .

والحرابة إنما تكون من الشواذ الذين لا يبالون بالمجتمع ولا يفكرون في عاقبة ، وهؤلاء المنحرفون لا يستحقون الرحمة ، يروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله قدم عليه نفر من عكل فأسلموا واجتوروا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فأضحوا وارتدوا وقتلوا رعاءها واستاقوا الإبل ، فبعث النبي في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسبل أعينهم ثم لم يحبسهم حتى ماتوا .. ذلك لأنهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ، ولذلك فقد فعل الرسول الكريم بهم ذلك بدون رحمة مع أن الله تعالى سماه الرؤوف الرحيم ، وهو حد يغلب فيه الطابع الاجتماعي لأنه يتصل بأمن الجماعة وهيبة سلطاتها وسلطاتها الشرعية ، وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد .

وفي عصرنا ، في الحجاز - كانت الدول ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لرد الاعتداء عنهم من العصابات التي كانت تهاجمهم ، ومع ذلك فان هذه القوات لم تكن قادرة في كثير من الأحيان على المحافظة على الأمن ، مع أنها مشتركة مع القوات الحجازية ، وكان الحجاج أو الرعايا من الحجازيين يخطفون ويفتك بهم - إلى أن طبقت الحدود فساد الأمن ، بل وأصبح مضرب الأمثال في العالم كله وأصبحت الأموال تنتقل إلى السعودية من مصرف إلى مصرف دون حراسة ، وفي الدول الغربية تنتقل الأموال بسيارات مصفحة وحراسات ضخمة ومع ذلك فهي لا تسلم من الهجوم عليها وسرقة ما فيها وقتل الحراس .

ومن الأشياء التي تذكر في هذا الصدد في البلاد المتحضرة ما روته الصحافة عن (ولاس ويرت) رجل الأعمال الأمريكي الذي له نشاطات تجارية في جميع أنحاء العالم وهو لا يتحرك إلا ويحيط به رجال مسلحون لحمايته ويتبعه رجال الحرس الخاص به في كل مكان يذهب إليه ، وسائق سيارته يحمل سلاحا وقد تلقى تدريباً خاصاً حول وسائل الدفاع المختلفة وكيفية المقاومة والمراوغة بالسيارة هرباً من أي هجوم تتعرض له ، وعند سفر السيد/ ويرت إلى الخارج يزداد عدد حراسه حيث يسبقه بعضهم إلى البلد الذي سيسافر إليه للتأكد ممن سيقومون بخدمته ، ومن المكان الذي سينزل فيه ، كما يقومون بوضع عدد من المدافع الرشاشة حول الفيلا ، ومما هو جدير بالذكر أن السيد/ ويرت وزوجه وابنه يجيدون استعمال هذه المدافع فقد تلقوا تدريباً مكثفاً عليها ، واسم ويرت ليس هو الاسم الحقيقي ، وهذه الاجراءات الأمنية رد فعل للتهديدات المتزايدة من بعض المنظمات الارهابية السياسية ضد رجال الأعمال الأمريكيين ، ومما هو جدير بالذكر أن عدد رجال الأمن في المدن الأمريكية يفوق عدد الارهابيين ، ومع ذلك فان خبراء مكافحة الارهاب في الولايات المتحدة يعتقدون بأن المؤسسات الأمريكية معرضة لخطر المهاجمة بشكل دائم ومستمر في الخارج ، وبخاصة تعرض هذه الشركات أو المؤسسات أو فروعها في الخارج لعمليات خطف كبار المسؤولين فيها ، أو القيام بعمليات التخريب في المصانع والأجهزة .

وفي إيطاليا تطالعا الأنباء دائماً بأن رجال الأعمال قد أصبحوا هدفاً لجماعات سياسية على درجة كبيرة من الاعداد والتنظيم ، وبالرغم من إجراءات الأمن المختلفة والمكثفة حيث يقوم جهاز خاص للمخابرات برصد وحصر المعلومات الخاصة بجماعات الارهاب السياسي ، بالإضافة إلى الاحتياطات الكثيرة الأخرى إلا أنه مع ذلك فان رجال الأعمال الآن في صراع كبير مع الارهاب السياسي . وإذا ما انتقلنا مرة أخرى إلى الولايات المتحدة لنطالع الاحصاءات الواردة منها ، فأننا نجد أن ٢٩١ هجوما تعرض لها المواطنون هناك خلال الفترة من ١٩٦٨/١٩٧٦ ، وكانت ١٥٠ منها تتم باستعمال القنابل ، وقام الارهابيون باعتقال ١٢٢ امريكيا واختطاف ٦٤ - واجراءات الأمن هناك تعتبر سرية ..

ويذكر دكتور (روبرت كوبرمان) كبير العلماء في وكالة نزع السلاح بالولايات المتحدة وأحد خبراء مكافحة الارهاب الرئيسيين في واشنطنون (أن أي مؤسسة متوسطة الحجم تحتاج إلى مليون دولار لانفاقها على الأبحاث والدراسات الخاصة بمكافحة الارهاب . وانه يجب الاهتمام بتعليم قائدي السيارات العاملين في المؤسسة طرق وسائل المناورة الدفاعية مع تدريب المسؤولين وشاغلي المناصب الكبرى في المؤسسة او الشركة على كيفية اكتشاف ما إذا كان هناك من يتبعهم ، أو يقتفي أثرهم مع ضرورة تغيير الطريقة والوسيلة التي يتبعونها عادة في سفرهم أو تنقلاتهم - واستخدام السيارات المصفحة التي لا ينفذ إليها الرصاص وارتداء الملابس الواقية من الرصاص .

ويلاحظ أن مؤسسة (ميامي واكت هت) مثلا تقدم خدمات خاصة مثل التأكد من الخدم الذين يعملون في خدمة رجال الأعمال الأمريكيين بالخارج - ومراقبتهم - إلى تزويد رجال الأعمال بحرس خاص وتركيب آلات التنبيه والتحذير إلى المنازل والمصانع .

ومع ذلك كله فهل نجحت هذه الأساليب في منع الجرائم ؟ هناك الكثير من عمليات الخطف - وهناك التزايد السريع في عدد بوالص التأمين ضد الخطف التي تعقدها شركات التأمين .. ويشير الدكتور كوبرمان الى أن جماعات الارهاب في العالم قد نجحت في ابتزاز حوالي مائتي مليون دولار من شركات ومؤسسات متعددة الجنسية ويقول : إن عمليات الخطف تعود بالربح الوفير على جماعات الارهاب .

وقد تبين أن من كل مائة حالة خطف في ايطاليا وألمانيا قتل منها اثنتا عشرة ضحية خلال محاولات الشرطة إنقاذ هذه الضحايا . وتشير الاحصاءات التي قامت بها مؤسسة (راند) إلى أن ثلاث ضحايا من كل مائة ضحية عمليات الخطف قد لقوا مصرعهم عمدا على أيدي مختطفهم وأن ٨٥٪ من كل مائة ضحية قد تم إطلاق سراحهم بعد دفع الفدية في الغالب ، وقد لوحظ أن أهم عنصر في إنقاذ الضحايا كان هو القيام بعمليات التفاوض مع الجماعة الارهابية بطريقة ناجحة تضمن إنقاذ حياة الضحية - ففي أغلب الاحيان يتطلب تدبير مبلغ الفدية المطلوب وقتا يستغرق في عمليات التفاوض بين الجماعة الارهابية وأصحاب الشأن - فحياة الضحية تعتمد في الواقع على مدى نجاح هذه المفاوضات .

ماذا يريد الغرب :

تبين لنا من العرض السابق ما يلاقيه الغرب من المتاعب التي ترتب عليها فقد الأمن بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع إلى جانب الخسائر المادية والمعنوية التي

يفتقدها كل شعب من الشعوب الغربية . ولقد فشلت كل التشريعات التي أقامتها المجتمعات الغربية في بعث الأمن والاستقرار وفي تلافي الاضرار الناتجة عن عدم استعمال العقوبات المناسبة ..

يقولون إن الحدود الاسلامية عقوبات قاسية ، وفيها إيلاام شديد لا يتناسب مع الجريمة مما يجعل هذه الحدود ظالمة .. يقولون هذا وهم يلاقون ما يلاقون من فشل في تأمين الافراد والمجتمعات في دولهم من زاوية ومن زاوية أخرى فهم يذيقون الافراد ألوانا من العقوبات لأشياء سياسية أو شخصية .

والاسلام الذي أقام الحدود حرم أن يضرب إنسان بغير حق وأن يجلد ظهره إلا في حد وأنذر باللعة من ضرب إنسانا ظلما ومن شاهده بضرب ولم يدفع عنه . بل أكثر من هذا .. فقد حرم الاسلام الايذاء الادبي للانسان عن طريق اللمز والهمز والتنايز باللقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات / ١١ . ثم كفل الاسلام للانسان الاحترام بعد مماته - ولذلك أمر بغسله وتكفينه ودفنه - والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته إلا لضرورة - وقد قام النبي عليه السلام حين رأى جنازة فقالوا : إنها ليهودي فقال عليه الصلاة والسلام : (أليست نفسا) رواه البخاري - كما حرم عرضه وسمعته بعد موته فقال عليه السلام : (لا تذكروا موتاكم الا بخير) رواه أبو داود .. بل أكثر من هذا فالاسلام يحترم كل ذى روح من غير بني الانسان والحديث الذي يتحدث عن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هي اطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض والحديث الشريف الذي يروى الناحية المقابلة عن رضا الله عز وجل عن رجل سقى كلبا حين رآه فعرف أنه يلهث من العطش فنزل البئر وملاً خفه وسقاه فغفر الله له بذلك ، ومن ذلك ما يروى من أن رجلاً أضجع شاة وهو يحذ شفرته فقال عليه الصلاة والسلام : أتريد أن تميتها مرتين هلا أجددت شفرتك قبل أن تضجعها) الطبراني ، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يتخذ شيء فيه الروح غرضاً ونحن في البلاد المتمدينة نرى صراع الديكة والثيران وما إلى ذلك ..

وفي بني الانسان « نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوشم في الوجه والكي تكريماً للانسان » رواه مسلم وقد روى مسلم عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » فإذا

كانت الرحمة تصل إلى هذه الدرجة لغير بني الانسان وللانسان فكيف يتهم الاسلام بالقسوة في حدوده .

إن الحد في الاسلام يقام مرة ليحمي المجتمع من فقد الأمن ومن القسوة التي يلقتها أفراد المجتمع بين أفرادهم وجماعاته من انتشار الفوضى على ما نرى في المجتمعات الغربية في العصر الحديث ، ومن هنا فقد حرص الاسلام على تمكين الاثر المترتب عليه سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

وقانون العقوبات حين يوضع إنما يقصد به أن يكون جزاء على عمل الشر والافساد فلا بد وأن تكون العقوبة رادعة - ولو قرن الغربيون هذه العقوبة وتأثيرها - بالجريمة وأثارها - لو استحضروا فعل السارق وهو يسير ليلاً ويشهر السلاح ويروغ الأمنين في بيوتهم - لو أنهم نظروا إلى هذه الأشياء وقارنوها بقطع يد السارق الآثمة لغيروا رأيهم - ولعلموا أن هذا هو الجزاء العادل .

ويتهم الغربيون الحدود الاسلامية بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية - وأن المجرم مريض يحتاج إلى علاج لا إلى عقوبة - وهذا كلام ليس له ضابط وليس من السهل تحديده وقد جربوا ألواناً من العلاج الذي يقولون به فلم يفدهم ذلك شيئاً وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد في كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة - والاسلام يرى أن هذه الأشياء لا تصلح ميرراً لارتكاب الجريمة ، ولا يصح أن يفلت المجرم من العقاب - والحدود الاسلامية هي علاج حقيقي للمنحرف - حقيقة إنه عقاب قاس ولكنه عقاب لجرم قاس ايضاً بعد أن أحاطه الاسلام بالضمانات الكافية في التربية الاسلامية التي تربط المسلم بالله تعالى ، وفي التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك - نعم هو عقاب قاس ولكنه ناجع وفي الوقت نفسه مفيد للشخص نفسه - هو كبت الجزء المريض من جسم الانسان فانه مع قسوته الظاهرة هو الرحمة بعينها لأنها ستبقى على الجسم كله سليماً يؤدي رسالته في هذه الحياة فالذي لا يصلح فيه كل هذا لا بد من بتره فذلك خير له وللمجتمع .. ثم إن المجرم حين لا يوقع عليه الحد فانه سيتمادى في إجرامه وسيقوم صراع بينه وبين المجتمع وأجهزة الأمن وسيصيبه من جراء ذلك أضعاف الحد ..

ومع هذا فقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسؤول من العقاب كالمجنون والمضطر وما إلى ذلك - وجعل المسؤولية تبدأ من البلوغ - والاسلام أيضاً راعى أحوال المجرم في عقوبة الزنا فالزاني المحصن عقوبته الرجم - وغير المحصن عقوبته الجلد - وقد سد الاسلام بذلك أبواباً كثيرة من الفساد الذي لم تستطع المجتمعات المعاصرة سدها أو إيقاف تيارها فمع أن الدول الغربية تبيح الاتصال الجنسي من غير حدود مادام ذلك يتم برضا الطرفين فأننا نلاحظ أن الاغتصاب - وهو الذي لا يتم برضا الطرفين بل يتم عن طريق العنف - هذا الاغتصاب يمثل في أمريكا أحد الجرائم الثلاثة الكبرى التي تحدث كل ثلاث ثوان - وهو القتل وسرقة البنوك والاغتصاب - وقد بلغ عدد الفتيات اللاتي

اغتنصبن في امريكا خلال عام ١٩٧٥ ٥٥ ألف فتاة أمريكية طبقا للتقارير الرسمية - ومع ذلك فان التقارير غير الرسمية ترفع هذا العدد إلى ثلاثة أضعاف - وبعض المهتمين بهذه النواحي يؤكدون أن العدد يصل إلى نصف مليون فتاة علما بأن بعض الفتيات يقتلن بعد عملية الاغتصاب .. وفي عقوبة السرقة راعى الاسلام ظروف المتهم فالسرقة العادية عقوبتها القطع ولكنها في الحراة قطع اليد والرجل . ومع هذا كله فان الشك في الحدود الاسلامية يفسر لصالح المتهم - وفي الحديث الشريف « إدروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه الترمذي والحاكم والبيهقي . وعمر بن الخطاب يقول : لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات » ومنها شبهة الملكية في السرقة - ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبراني - وفي شهادة الزنا لو شهد ثلاثة وتراجع الرابع فان حد الزنا لا يقام على المتهم بل يقام حد القذف على الشهود لانهم في هذه الحالة يعتبرون كاذبين .

وفي القوانين الحديثة قاعدة تقول : « لأن يفلت مجرم من العقاب خير من أن يدان برىء » وهي تماثل القاعدة الفقهية : (لأن يخطيء الامام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة) ومعنى ذلك أن القاضي إذا تشكك في ارتكاب الجاني لجريمته أو في انطباق النص المبين للعقوبة على الفعل الذي اتاه وجب تبرئة المتهم . ثم ان في اقامة الحد على المجرم في الاسلام - مصلحة مؤكدة له لأنها تخلصه من العقوبة في الآخرة وفي معاقبته إذا أجرم تطهير له من الخطيئة في الدنيا لأن عقابه يوقظ فيه معاني الايمان الدفينة وتحسسه بعظم تقصيره في جنب الله مما أدى به إلى هذا العقاب وهذا يجعله غالبا يتوب إلى الله تعالى . وتتميز الحدود الاسلامية في أن القانون يصل إلى كل إنسان في الدولة مهما كان مركزه - فلا ترتفع المسؤولية الجنائية عن وزير أو رئيس دولة - ولا يملك رئيس الدولة حق العفو لغيره أو لنفسه - والتاريخ يحدثنا أن امرأة مخزومية سُرقت فأهم أمرها المسلمين ووسطوا في شأنها أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فغضب غضبا شديدا وصعد المنبر وقال للمسلمين : « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » رواه احمد .

والقضاء في الاسلام جزء من الولاية العامة التي يتولاها الخليفة بنفسه أو ينوب عنه من يتولى القضاء ويحدد له اختصاصاته - وفي تنفيذ الأحكام كان القاضي يتولى بنفسه تنفيذ ما يصدره من أحكام - ومن الجدير بالذكر أن القاضي كان لا يحتاج إلى معونة في تنفيذ الأحكام لأنهم كانوا ينفذونها من تلقاء أنفسهم والشرعية الاسلامية لم تأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات . وتمتاز العقوبات الاسلامية بأنها تجعل المسؤولية شخصية على عكس بعض

الأنظمة الحديثة والقرآن الكريم يحدد ذلك في قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الأنعام/ ١٦٤ .

ولعل هذا كله هو الذي جعل مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد في جامعة دمشق عام ١٩٧٢ يقرر أن (التشريع الاسلامي هو أجدى تشريع في مكافحة الجريمة) وأن المؤتمر يهيب بالدولة أن تقترب في تشريعاتها من التشريع الاسلامي لمكافحة الجريمة .

والدول المتمدينة في العصر الحديث اهدرت حرية الانسان وحطمت كرامته لانه يعترض على رأي الزعيم مثلاً مما لا يكون اي لون من الوان المخالفات في الاسلام الامر الذي جعل انسان العصر الحديث يلاقي من الاهوال ما لم يلقه انسان على مدى التاريخ ذلك لان الذي يحدد العقوبة هو الانسان الحاكم الذي يهتم ان يعمل لمصلحته وان ينتقم لكرامته والانسان قد يكون في قلبه بغض او حقد او استعلاء فهو ليس مؤتمناً في وضع العقوبات ، والحاكم يستخدم كل أجهزة الدولة في سبيل مصلحته وفي المحافظة على ملكه .. ومع هذا كله فهم يقولون ان الاسلام اهدر كرامة الانسان وأدميته حين قرر الحدود مع ان الانسان الذي ارتكب عقوبة تستوجب الحد هو الذي اهان نفسه وتعدى على غيره .. وهم يتكلمون كثيراً في الزنا وفي قسوة عقوبته والاسلام له رأي في الزنا تظهر اهميته في الآثار التي ترتبت على الزنا في المجتمعات الغربية فحطمت الفرد - كما حطمت المجتمع وان كانوا لا يقرون بهذا صراحة ولا يدخل الزنا في باب الحرية الشخصية لان فيه اضراراً بغيره واعتداء على الاسرة الاسلامية المتماسكة وهدم لكيانها - وهي في نظر الاسلام - الخلية الاولى التي يتكون منها المجتمع - وفيه اشاعة للريبة في النساء والزوجات وتشكك في الانساب وتضييع للأطفال - وهذه كلها اخطار تصيب المجتمع يضاف اليها نشر العزوف عن الزواج وانتشار الامراض المختلفة الى غير ذلك من الاضرار التي نراها منتشرة في المجتمعات التي تبيع هذه الانحرافات لذلك كان من حق المجتمع الاسلامي ان يحمي نفسه من هذه الاضرار التي يسببها الزنا . مع انها لذة وقتية كان يمكن للزاني أن يحصل عليها بالزواج واذا كان متزوجاً فانه يحصل عليها من زوجه - وتعرض الزواج ان وجد لا يعتبر مبرراً للزنا فهناك مآرب أخرى لطاقة النشاط الجسمي في العمل المستمر وفي الصيام وما الى ذلك .

والزنا يرضى الطرفين لا يجعله مشروعاً في الاسلام لانه لا يزيل الاضرار المختلفة المترتبة عليه والاعراض ليس فيها بذل كالاموال لان الآثار المترتبة عليها تصيب الافراد والجماعات - ومن هنا كان الحد حقاً لله عز وجل لا حق الافراد . ومن تمام صيانة الاعراض في الاسلام انه حفظها حتى من الحديث عنها بغير دليل ومن هنا كان القاذف الذي يتهم غيره بالفاحشة بدون ان يستطيع اقامة الدليل يعتبر كاذباً وقاذفاً - ويقام الدليل على كذبه بجلده علانية فهو الذي اهدر كرامة نفسه بتعريضها للجلد حين اتخذ هذا الاسلوب في اتهام الناس ... وهكذا تحرص

التربية الاسلامية على طهارة المجتمع وصيانتته بالتربية المتكاملة ثم يتم ذلك القانون الاسلامي بايجاد العقوبة التي تساعد على تحقيق هذه الطهارة .. والمعتضون بعضهم يرى - من وجهة نظره - انها ليست بجريمة وبعضهم لا يرى هذه الخطورة أو أنهم يرونها ولكنهم لا يهتمون بها ..

والحضارة الحديثة تحكم بالاعدام على جرائم قد تكون وهمية - ومع ذلك فهم يقولون إن قطع يد السارق وحشية قد انقضت عهدا فهي لا تليق بالفرد وفيها إضرار بالمجتمع لأنها تجعل المقطوع عاجزا وفي الحبس كفاية .. والحبس لا يكفي بل انه ينشر اساليب الجرائم عن طريق من فيه كما بينا - ثم ان وجود المقطوع عالية على المجتمع خير من ابقائه سليما وهو يعيث في الارض فسادا .

والمدنية الحديثة ترى ان الانسان حر في نفسه - ومن حريته الشخصية ان يشرب الخمر فلا فرق بين شرب الخمر وشرب الماء والاسلام يرى ان الانسان ليس حرا في نفسه لان له رسالته في هذه الحياة ولن يستطيع أن يؤديها كاملة إلا إذا كان سليم الجسم سليم العقل سليم النفس ، ومن الذي قال ان الانسان يعرف مصلحة نفسه ونحن نرى اعدادا من الناس يتصرفون تصرفات تعود عليهم بالضرر البالغ ومن ذلك شرب الخمر الذي يضر بالجسم ويضر بالعقل ويقلل الانتاج ، وليس هذا فقط بل ان الاضرار المختلفة ستسحب على المجتمع من نواح كثيرة .

والمدنية الحديثة فيها الوان من التصرفات التي تدل على عدم احترام الانسان او المحافظة على كرامته ، ونحن نرى ونسمع عن الاجهزة المختلفة التي تقوم بالتجسس على الافراد في بيوتهم وفي محال اعمالهم لترى مدى اخلاصهم للحزب او للقائد - وترسل وراءه رجالا في كل مكان يكتبون تقارير عنه في ذلك - ولادنى شبهة يعذبونه بألوان من التعذيب النفسي والجسمي - وقد يبقى في المعتقل سنوات يلاقي ما يلاقي - وقد يقتل او يموت من التعذيب - وتتبعه اسرته واصدقاؤه في ملاقات المتاعب على ايدي رجال الحزب والمباحث والمخابرات - ولكن الاسلام يرفض كل هذه الاشياء ، ويترك كل انسان آمنا في بيته وفي عمله - والمرتد لا يتجسس عليه احد ولا ترسل وراءه المباحث والمخابرات - ومن هنا فانه اذا كتم رده فلا سبيل لاحد عليه - ولكن اذا اعلنها ففي ذلك تشجيع للمنافقين وتشكيك الضعاف العقيدة وهذا يؤدي الى اضطراب المجتمع واهتزاز نظامه .. ومن الواجب القضاء على جرثومة الفساد .. ومع هذا فان الاسلام يعطي المرتد فرصة للتوبة ويحبس ثلاثة ايام فان تاب فبها ونعمت ، والا وقعت عليه العقوبة وقطع دابره واصبح المجتمع سليما منه .

والاسلام يحدد المواطن التي يعاقب فيها بالقتل وقد حددها النبي الكريم في قوله : (لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه وبهذا التحديد صار المسلم في المجتمع الاسلامي الذي يحكم بالاسلام يعيش في امن وامان ولكنه تحت لواء المدنية

الحديثه يلاقي ما يلاقي لسبب او لغير سبب - واذا كان المسلم في ظل المجتمع الاسلامي حرام على الجميع انتهاك ماله أو عرضه أو دمه فانه تحت لواء المدنية الحديثه لم يعد يحس بشيء من ذلك كله .
وحين نطبق الحدود الاسلاميه وتسد المنافذ امام الشفاعة والمحسوبية فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر في اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر او شاذ الدوافع وهم قلة وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم .

خاتمة :

تهتم كل دولة بأن يسود الأمن مجتمعا ، وهذا يدل على نجاحها في ادارة دفة الأمور ، وفي صلاحية القوانين السائدة فيها ولذلك فانها تعلن عادة في نهاية كل عام عن حالة الأمن فيها ، وحين ينخفض معدل الجريمة تهلل الحكومة ومعها كل وسائل الدعاية والاعلام لان الدولة قد تمكنت من زيادة الامن فيها للأفراد وحماية حرمت الناس وضبط المجتمع .. ومعنى ذلك انها نجحت في عملها بمقدار ما حققت من الامن ، والا فان النظام الموجود في الدولة قاصر عن تحقيق الامن للأفراد والمجتمع فتزيد في اجهزة الامن وفي الوسائل التي يستخدمونها لمراقبة المجرمين والتصدي لهم والامر لا يقتصر على اجهزة الامن بل ان المجرمين بدورهم يقيمون أجهزة مضادة لأجهزة الامن -! ترصد حركاتها وتقاومها وتصيب من افرادها بمقدار تعرضها له ، بل انها قد تقف احيانا متحدية لكل أجهزة الأمن ، ولعل هذا هو الذي جعل عصابات النشل والسرقة بالاكراه والاختطاف والتعصب والسطو الجماعي والاغتيالات التي تعرف اسبابها او التي لا تعرف مما هو موجود في المجتمعات المعاصرة ، ولا يوجد في المجتمعات التي تطبق الحدود في قديم الانسانية او حاضرها .

وقد لوحظ ان المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الاسلاميه يتمتع افراده بتوازن نفسي من نوع يريح ويطمئن ، ويجعل طاقات الافراد تتحول الى البناء والعمل المنتج اذ لا يوجد للأفراد ما يصرف القوى الجسميه والنفسية عن مسالكها السليمة ، وبذلك تصبح قواهم الجسميه والنفسية والمالية سليمة فيقبلون بها على البناء .. وبذلك تهيب الحدود الاسلاميه مناخا حرا يتنفس فيه من عرف كيف يحترم حريات الآخرين وفي الوقت نفسه تضيق الخناق وتطارد من يحدثون انفسهم بالعدوان على الناس كما تروع الخارجين على القوانين الاسلاميه التي تعمل على احاطة المجتمع والامن والاطمئنان .. ومن هنا كانت الحدود الاسلاميه من مظاهر رحمة الله بعباده لانها تزجر الانسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الأثم ، واذا وقع في الجريمة فان العقوبة بالنسبة له بمنزلة الكي بالنسبة للمريض او بمنزلة قطع العضو الفاسد بالنسبة للمجتمع .. والحرية الشخصية مشروطة بان لا تؤدي الى اي نوع من الاضرار بالنفس او الاضرار بالمجتمع .

والاسلام يدرأ الحدود بالشبهات ومن هنا فان بعض الجرائم لا يمكن ان تثبت الا بالاعتراف كالزنا والاعتراف من خصائص الاسلام لانه ناتج من التربية الاسلامية ومن تقوية ضمير المسلم وربطه بالله تعالى ومن هنا فان من الطبيعي ان يأتي رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له : يا رسول الله طهرني بالحد وكلمة طهرني تبين الى اي مدى كان ضمير المسلم قويا وكيف انه يريد ان يذهب الى ربه طاهرا سليما وذلك بعد ان ضعفت ارادته في فترة من الفترات .

ان المجتمع الذي ليس فيه جرائم هو مجتمع مثالي لا يتوفر وجوده في هذه الحياة ، ولكن هناك فرق بين ان يكون الانحراف حوادث فردية وبين ان يكون ظاهرة اجتماعية منتشرة تفقد الناس احساسهم بالامن . والبلاد العربية التي لا تطبق الحدود الاسلامية تزداد فيها الجرائم بصفة دائمة وقد اشارت الدراسة العربية الى ان الكويت سجلت اعلى نسبة في جرائم الجنس حيث سجلت ٣٢٠ حالة بغاء واغتصاب عام ١٩٧٢ وزادت هذه الحالات بنسبة ٤٩٪ في السنوات الأربع التي تلتها وفي الجزائر كانت حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (١٩٠) حالة ثم زادت في الاربعة اعوام التالية بنسبة ٥٤٪ وفي تونس كان عدد حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (٢١٨٠) حالة زادت بنسبة ٨٣٪ في الاربعة سنوات التي تليها وفي السودان كان عدد الحالات عام ١٩٧٢ (٨٦٥) زاد بنسبة ١٢٣٪ .

ولعل الاحصائية الآتية التي اعدتها هيئة الامم المتحدة عن معدل الجريمة في بلاد تطبق احكام الشريعة الاسلامية بالمقارنة بمثيله في البلاد الغربية ترينا الفرق الهائل في نسبة الأمن في البلاد التي تطبق الحدود الاسلامية مع ملاحظة ان هناك اشياء تعتبر جرائم في التشريع الاسلامي ولا تعتبر جرائم في التشريعات الوضعية مثل شرب الخمر والزنا - وقد اذيعت هذه الاحصائية في مؤتمر وزراء العدل الذي عقد في القاهرة في يناير عام ١٩٧٩ تقول احصائية المنظمة الدولية انه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصا ، وفي فرنسا ٣٢ الف شخص وفي كندا ٧٥ الف شخص

وفي فنلندا ٦٣ الف شخص وفي المانيا الغربية ٤٢ الف شخص . ومن يتأمل هذه الاحصائية جيدا يدرك الى أي مدى كانت الحدود الاسلامية هي هدية الله الى البشرية الضالة التي تريد ان تتمتع بالامن والاستقرار ولكنها اخطأت الطريق .

فالى هذا العالم الحائر الذي يريد ان يعيش في ظلال الامن والاستقرار اهدى هذه الكلمات عله ينظر بعين العدل والانصاف الى الحدود الاسلامية فيكيف عن مهاجمتها ويحاول ان يستفيد بها في حل مشكلاته المتزايدة والله الذي حددها هو الله الذي خلق البشر والذي يعلم السر وأخفى والذي يحيط علمه بكل شيء وهو ادرى بما يصلح لعباده الذين خلقهم وكرمهم وفضلهم على سائر مخلوقاته ليحققوا خلافته في عمارة الارض ونشر العدالة والامن والسلام فيها .



عطاء العلم بين الائمة والاحكام

للاستاذ

محمد الدراجيلي

الناصح أو رداء العالم الذي يلقي معارفه من خلف منصة الأستاذية ، انما هي انطباعات صادقة أسرعت للتعريف بها - إيماننا مني بقدرتها على العطاء والبذل في المعركة المحتومة بين الايمان والاحاد .

العلم في منظار الاسلام :

العلم في نظر الاسلام قيمة من القيم الرفيعة التي كرمها الحق - سبحانه - وفضلها على سائر القيم نلاحظ ذلك في هذا الحوار الذي قصه علينا القرآن الكريم والذي دار بين نبي من أنبياء بني اسرائيل وقومه في قوله تعالى : (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى

إن كان لا بد لكل موضوع من مقدمة تعرف بغرضه ومنهجه ، فأرجو ان اصنع هذا في كلمات سريعة .
اولا : ان ما نطرحه هنا - عبر مجلة الوعي - من فكر مؤمن ليس الا حقائق راسخة أثبت التطبيق العلمي والعمل نجاحها - فهي بالحق وللحق ليست موضع جدل او نقاش ، وما دور القلم إلا تعميق مفاهيمها في ضمير الأمة بأسلوب لا يخفي وراءه زخرفا من قول ، أو ادعاء من فراغ ، عل عناصر الحق والصدق فيها تستميل شبابنا ، فتصبح حذاء للركب المتأهب ، ونشيدا للنصر المؤمل ، وشعاعا ينير الى الطريق المنشود .
ثانيا : ليس لدي قدر يسير او كثير من الرغبة في أن ترتدي كلماتي ثوب

البحر» رواه ابن عبد البر والحديث الاول مبدأ من مبادئ حقوق الانسان في الاسلام لم يستطع عالمنا المعاصر تحقيقه حتى اليوم ، فاذا كان التعليم الزاميا في المرحلة الابتدائية ، فانه عند المسلمين الزام وفريضة في كل مراحل العمر .

وبالنسبة للحديث الثاني فان تعليقا للامام الغزالي رحمه الله يقول فيه أي منصب أعلى ممن تشغل الملائكة بالاستغفار له ؟ هذا التعليق يكفيننا مؤونة الحديث عنه ، او التعليق عليه ولقد شجع صلوات الله عليه وسلامه العلماء ، وحث الناس على الاخذ بالعلم ، والتفقه فيه بالقول والعمل ، فجعل فداء الاسرى تعليم بعض ابناء المسلمين ، وجعل صدق المرأة تعليمها . والانصاف يقتضينا ان نقول ان رسول الله - عبأ كل القوى المؤمنة ودفعها لنشر العلم وتيسيره بين الناس في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم في مكة ، وفي مدرسة مصعب بن عمير في المدينة بل وفي خارج الجزيرة في الحبشة في مدرسة جعفر بن أبي طالب .

أما أداء المؤمنين ، وتكريمهم للعلم والعلماء ، فان من الخير ان نعيد الى ذهن القارئ هذه القصة ففيها كل الغناء بل وفيها الاشارة التي تغني عن العبارة عما كان يتمتع به العلماء من شرف عظيم في نظر الملوك والامراء . مما يستحق ان يكون مضرب المثل عن حضارة الانسان المسلم ورفقيه . ومضمون تلك القصة ان المؤمن اختار الفراء لتأديب ولديه ، وحين كان

يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم (البقرة/ ٢٤٧ فبسطة العلم هنا فاقت سعة المال كما نرى .

وإذا كان القرآن قد فضل العلم على المال ، فاننا نراه أيضا - قد شرف العلم ، وكرمه وارتقى به إلى ما هو أجل من عرش الملوك ، وجاه السلاطين ، وأي ملك هذا الذي نتحدث عنه إنه ملك سليمان الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فضل القرآن العلم على هذا الملك حين امتن على داود وسليمان بالعلم .. لا بالملك - في قوله سبحانه : (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) النمل/ ١٥ .

وذلك الفضل العظيم لا يمنحه الله إلا لأناس من صفوة خلقه ، حدد السمات التي يتحلون بها من صفاء القلب ، ونقاء الضمير والخشية لله ، في قوله جل وعلا (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر/ ٩ فاذا انتقلنا الى السنة النبوية واجهنا حشد هائل من الاحاديث التي تفيض بالثناء العاطر على العلم وتكرم العلماء نقتطف منها قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عبد البر وقوله « وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في

يجلس الفراء لالقاء درسه كان يخلع نعليه ، فاذا انتفض قائما تسابق الولدان في حمل نعله اليه - وعلم بذلك الخليفة ، فسأله يوما من اعز الناس يا فراء - قال الفراء : أمير المؤمنين أعز الناس ، فقال : لا والله إن أعز الناس من يتسابق وليا عهد المسلمين في حمل نعله اليه .

فهل عطاء هذا العلم يستحق فعلا هذا التكريم والتبجيل ؟ نعم . نعم . لأن العلم الذي يعنيه الاسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم الحياة كلها كلياتها وجزئياتها العلم النظري الذي يشير اليه قول الله سبحانه : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) العلق / ١ والعلم الواقعي الذي يتخذ من الواقع والكون كتابا له والذي يلفت القرآن النظر اليه في قول الله : (وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢١ و ٢٢ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية / ١٧ - ٢٠ هذا كله في الوقت الذي عرفنا فيه علم الآخرين يدين بالنظرة التجريدية للفلسفة اليونانية ، ولم يعتمد المذهب الواقعي التجريبي إلا حين عرف حضارة الاسلام وانتقلت إليه بواسطة الأندلس وعن طريقها - يقول « يريفولت » مؤلف كتاب بناء الانسانية « ان الحضارة الأوروبية مدينة بالضرورة في كل نهضتها للثقافة الاسلامية التي نقلتها عن الاندلس » .

ان هذا العلم المؤمن علم موصول بالله ، مقترن بنية العبادة ، يؤكد ذلك ما جاء على لسان حجة الاسلام الغزالي ؛ فقد كان رحمه الله يرى ان الغرض الاسمى من العلم هو التقرب الى الله وليس طلب الرياسة او الفخر والمباهاة ، ومن هنا فانه علم بناء استهدف رخاء الانسانية وصلاحها ، ولم يحدث ان اتجه الى تخريب او تدمير او عدوان او بغى ، حتى في اعز فترات تطوره ، ويوم ان كان يقود قافلة البحث والمعرفة علمائه الاجلاء امثال ابن الهيثم الذي الف ما يربو على مائتي كتاب في الفلك والكيمياء والطبيعة ، والذي ترجم له كتاب « المناظر » الى اللاتينية في القرن السادس عشر الهجري فلما انتقلت قيادة العلم الى الآخرين اذاقوا الدنيا مرارة القتل والقهر والرعب والتسلط ، في الحروب العالمية وما بعدها وحتى يومنا هذا . فالفارق كبير والبون شاسع لان الأول ينطلق من قاعدة الايمان التي يستمد منها المسلم فكره وعلمه وسلوكه : (واتقوا الله ويعلمكم الله) البقرة / ٢٨٢ .

اما الآخر فانه علم يتخذ المادة أساسا ، والغلبة شعارا وفرق بين الثريا والثرى .

ان العلم في الاسلام يطلب لذاته ، فهو في نظر العلماء المسلمين ألد شيء في الحياة فقد تعلموا راغبين ، وكتبوا والفوا محبين عابدين ، وخير مثل على ذلك ما كان يقوم به الجاحظ من اكتراء دكاكين الوراقين والمبيت فيها طلبا للعلم وبحثا عن المعرفة ، ويسأل

ويؤسفنا ان نقرر ان عالمنا في عصر يدعى فيه أنه عصر العلم يعاني قلقا رهيبا تظهر آثاره في حالات الصرع والجنون ، وحوادث الانتحار وتفكك الاسر . ذلك لان قادة المعرفة والاختراع ينطبق عليهم قول الحق سبحانه : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم/٧ اما علماؤنا فقد عرفوا مفهوم الآية ومضمونها ، ومنهج الله فيها ، فبحثوا والفوا ، وهم يدينون بقول الله سبحانه : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص/ ٧٧ ان هذا يدعونا الى الايمان الصادق بالعودة من حيث بدأ المسلمون الأوائل ، كما يدعونا الى الايمان الواثق بأن دورنا في الحياة لم ينته ولن ينتهي ، وأنا قادرون كما قدرنا من قبل على أن نضيف الجديد من الخير والحق وقادرون على أن نأخذ الراية ونستلم الركب ونتقدمه ولن يكلفنا ذلك اكثر من أن نصطح مع الله ونعود اليه ، ونعلم انه عند التطبيق نجح علمنا ، وبني وأسس ، وبالتطبيق انتكس علمهم ودمر وخرب ، وأن الحياة اليوم تذرع الخطى وتتلف في معاناة . لنأخذ بيدها لانقاذها مما اصابها ، ونحن مهياؤن لذلك . بعون الله - وهو قدرنا لأن مشيئة الله اقتضت وقضت بأن الأرض لن يرثها دعاة الفتك ، ولا حملة الكراهية بل سيرتها عباده الصالحون بناة الحق ، أولياء الايمان والعقل ، أصدقاء الانسان والحياة .

الامام مالك رضي الله عنه فيما لو بقيت له ساعة من عمره فيم يقضيها فيقول في طلب العلم . من أجل هذا كله تركوا ثروة هائلة من المجلدات والاسفار ، وقدموا للحياة الافذاذ من العلماء امثال الفارابي ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وابن الهيثم ، مما يجعلنا مطالبين وبالاحاح في البحث عن انفسنا وذواتنا ، والعمل على عودة الروح الباحثة اليها ، وان تأخذ التربية في اعتبارها تلك المثل ، لنثري الحياة بالحق والعدل والخير كما اثريناها سابقا ، ولنعزدين الله بالعمل الطيب كما فعلنا من قبل .

إن المسلمين اخذوا انفسهم بمبدأ التعلم الذاتي والمستمر ، ودعوا اليه من قبل أن تعرفه التربية في هذا العصر ، فلم تتقيد مدارسهم ، أو معاهدهم أو مساجدهم أو كتاتيبهم بسن معين او نبوغ معين ، أو قدرات أو مهارات بل يسرته للجميع وأباحته لكل راغب ، يسأل ابو عمر وابن العلاء - هل يحسن بالشيخ ان يتعلم فأجاب إذا حسن له أن يعيش ، فأحسن منه أن يتعلم .

إن العلم المؤمن في أزهى عصوره ؛ وأعظم فتراته التزم بمنهج الله في عمارة الحياة واثرائها ، ومنحها الرخاء والسكينة والرفاهية والأمان . وإذا كنا ننهر - الآن - أو البعض منا بما حققه العلم الكافر في هذه العصور من الكشوف والمخترعات ، فأننا نحمد له ما التزم به من علم نافع ، وننعي عليه عجزه عن توفير الامن والطمأنينة في النفوس ،

للأستاذ : محمد عبد الله القولي

مذ اشرق من ذكره أيامي
ترجو النجاة من الضلال الطامي
واذا السماء تفيض في انعام
لله يهدي الكون خير امام
ومع النعيم هداية الاسلام
تحبي القلوب بأطرب الأنسام
نشوى الفؤاد بعاطر بسام
يغنى الحياة ونبيه متنامي
تساقط الثمرات كالألهام
تغشى القلوب برحمة العلام
في طيه من أعظم الأيام
للظالمين الى هدى الاسلام

خفق الفؤاد وظل في تهيام
وتطلعت نفسي لتلمس الرجا
فاذا السماء تألقت أنوارها
كل الخلائق يومها قد سبحت
جاء الربيع فجنة أيامهم
وتدفقت أنوار ربك للورى
عودي لنا يا فرحة في بعثه
عودي لنا وأتى بعطرك سائغا
هزي لنا جذع النخيل بمكة
تتعانق الآيات من تذكراها
تزهو على سفر الوجود وما حوى
تهمي كما الغيث الهتون بفيضها

تعلو على الخلق الكريم على الدنى
ترنو اليك الكائنات بأسرها
هزي لنا جذع النخيل بمكة
تروي لنا عن جد أحمد (شيبه)
ساد العشيرة كابرأ عن كابر
سقي الحجيح تقرباً من ربه
يسعى و « حارثة » المطيع بقوة
أمضى بجمع الماء أطيب يومه
قد شاء في الساح المقدس منهلا
فاذا قريش غصة في قلبه
لو كان من أبنائه في كثرة
فدعا الاله وحسرة في نفسه
ربي لئن أنجبت عشراً صبية
لبي المجيب لعبده ما شاءه
حتى اذا كان الوفاء أهمه
نذر على « الفياض » يذبح واحداً
أي الأجابة من بنيه فداؤه ؟
والولد للشيخ المسن جوارح
هم بهجة لأبيهم وسعادة
أي البنين سينتقيه ضحية ؟
لم ينجه من حيرة غير اللجو
يا ليتها الأقداح ظلت صمة
أكون « عبد الله » ذبح فدائه
زأغت عيون المشفقين بمكة
نور لعبد الله يطفح حوله
تبكي له بالبيت « ابنة نوفل »
تلك الرقيقة تبتغيه لنفسها
وكان أمنة تظن بأنها
كم أخبرتهم « سودة » بنبوءة :
هتفت بشارة كاهن من يثرب
حتى اذا رضي الاله فداءه
كم قد فدى الرب العظيم عباده
بالأمس « اسماعيل » جيء بفدية
فرح بمكة يحتوي ابياتها
زاد الفداء جلاله وجماله

قدسية التعظيم والاكرام
مثل الوهاد تتوق للأعلام
تتعانق الآيات في إحكام
ما جاش في الأذهان والأفهام
بالعدل والاحسان والاقدام
وقراهم في موطن الاحرام
كي لا يرى من جائع او ظامي
لكن جمعاً لا يفي بتمام
يروى الحجيح على مدى الأعوام
تأبى عليه ، تصده بتعام
لم يرغموه بأيما إرغام
تكوي الفؤاد عظيمة الايلام
لأضحى بواحد صمصام
وحبا بعشر كالبدر كرام
اي العيون يساق للاعدام ؟
والنذر للفياض وعد ذمام
والولد نبع دائم الانعام
بل اضلع تحمي من الأيام
هم أنجم تقضي على الاظلام
أي الجوارح تنتهي لحمام ؟
لجعبة الأقداح والأزلام
ما أخبرته بحكمها الهدام
خير النجوم وأرفع الاعلام
هل يقبلون بأصعب الأحكام ؟
سر به يعلو على الأفهام
وفؤاد « أمنة » كذبح حمام
حتى تكون نذيرة الأقوام
أم النذير الطاهر المقدام
في آل زهر حكمة العلام
أن يفدى بالقدح في الأنعام
نزلت عليه عظام الانعام
وأقال عثرة « شيبه » بغلام
ووفى أبوه بحلمه بسلام
قد عاد « عبد الله » في إكرام
علقت به الأبصار في اعظام

رجع الحبيب الى الفؤاد الدامي
 فرحت له الأساد في الأكام
 حتى الطيور تصيب من إطعام
 بالبيت يدعو ربّه بهيام
 حتى يزوجه ببنت كرام
 فطوى عليه السر في احكام
 من بنت « كبشة » كافر الأصنام
 قد أشرقت نورا بغير ضرام ؟
 يرنو لها في وجهه البسام
 وسمت به في فارس والشام
 كي يهديا للكون خير إمام
 كم أمضيا في الحب من أيام
 وتناجيا في فرحة ووئام
 سيغيب بدر لم يعيش لدوام
 ساعود في رزق كفيض غمام
 أيامه ونقوم خير قيام
 أنت السعادة منتهى الأحلام
 تفديك نفسي ، مهجتي وعظامي
 يرعى الحليلة عاطر الأنسام
 قد عذبت في الخوف والأوهام
 يشفي لما تلقاه من آلام
 هو أنسها النامي مع الأيام
 أن قد حملت بسيد الأقوام
 يدري بمن قد غاب في الأرحام
 أغصانها في الخافق المترامي
 سطعت على الأعراب والأعجام
 وسعى لها رهط على إصرام
 قد حملت من خير ما في الشام
 طال الزمان تعد في الأيام
 لم تلق عبد الله في الأقوام
 وجنينه في عالم الأرحام
 هل يفتديه لأشهر من عام ؟
 لا يفتدى الا لأمر هام
 ليجيء منه المصطفى بسلام
 تأنى عن الأخطار خوف حمام

قد عاد للكبد الصدوع شفاؤه
 ما بال عبد الله حتى انه
 لاقت بفديته العظيمة مطعما
 فرح لشيبة كم يطول طوافه
 لن يهنا الشيخ المسن بنجله
 في آل « وهب » أخبروه نبوءة
 صدحت أهازيج النساء تزفه
 ما بال مكة جنة في عرسها
 ما سرها والكون في آياته
 عرس تحلقت البشائر حوله
 قمر لشمس بالزواج تلاقيا
 كم أشرقا في إلفه ومودة
 قد أسلما لله في أقداره
 لم يدريا أن الفراق مقدر
 لهفي على البدر المودع شمسه :
 ساعود كي أرعى حبيباً قد دنت
 أنت الحبيبة والخليلة والمنى
 يحميك رب البيت في عليائه
 غاب الحبيب وقلبه في مكة
 طال البعاد ولم يؤب لعروسه
 لكن حملا في الضلوع تجنه
 هو حلم أمنة العظيمة حظها
 « سمعت برؤياها العجيبة هاتفا :
 يا ليت عبد الله يسمع حلمها
 تدنو الى أعلى السماء برأسها
 أبهى من الشمس العظيمة نورها
 فيها تعلق من قریش ثلة
 « أبست تجارة مكة ورجالها
 وصلت بشائرها لكل حبيبة
 « واهـا لأمنة تحدق في الربى
 قد غاب عنها في المدينة ميتاً
 لهفي على الشيخ المفارق نجله
 لهفي على النذر الذبيح كأنه
 لا يفتدى إلا لنسل محمد
 « عجباً قریش تحتمي بجبالها

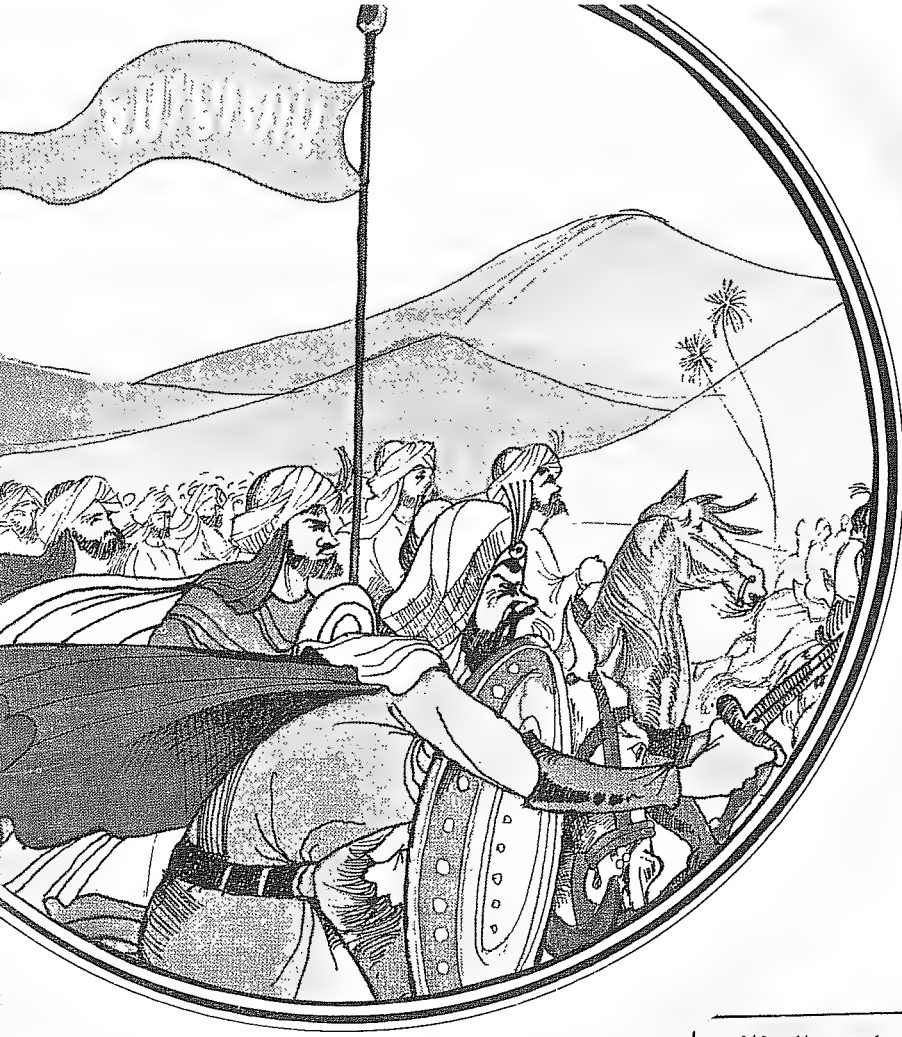
قد جاء « أبرهة » البغيض بجيشه
أبدا قرب البيت يحمي بيته
طير اباييل تفرق جمعهم
سر لبيت الله يدفع خصمه
حفظ لبيت الله مهد نبيه
« جاء الربيع الى الديار فهللت
حمل الأثير بشائرا من مكة
ولد اليتيم محمد في فرجة
ولد اليتيم ونوره متألق
لم تلق أمنة المصون بحمله
« هو رحمة للناس ، كيف بأمه ؟
حلمت بعبد الله يرقب طفله
فرح حوى أبيات « هاشم » عمها
فدموع « شيبه » بللت وجناته
« هذي حليلة تترجي من ربها
قبلت يتيما وهي جد فقيرة
قد شرفت بمحمد وبفضله
يا مرحبا بالمصطفى وقدمه
قد كان عرساً للسماء وبهجة
غنى له الكون العظيم وغردت
طربت له الأرواح في عليائها
اذ طهرت من كل ما تشقى به
صعق الطفاة المجرمون بمولد
قد اعتق الانسان من اغلاله
وسما به للخير في أفعاله
زكاه من ادراجه وعبوبه
ورعاه من دين الاله بحكمة
قد فضل الله العظيم محمداً
قد جئت تهدينا لكل فضيلة
إننا رسول الله أعظم أمة
نحن الأعزة والكرام على المدى
ان نستجب لله في أحكامه
ان نتحد صفاء على أعدائنا
اشفع لنا يا رحمة من ربنا
واقبل رسول الله حسن تحيتي

بالفيل يجعل بيتها كركام
ويرد كيد المعتدي بضرام
فكأنهم في الساح طحن طعام
ان جاء في وهم من الأوهام
الصادق المصدق خير همام
واستبشرت بالخير والانعام
وسرى بها في السهب والأكام
يا مرحبا يا سيد الأيتام
شمل الوجود وكان في إظلام
او وضعه شيئاً من الآلام
سعدت به واستبشرت بسلام
ويضمه للصدر في تهيام
فتهالت لوليدها البسام
فمضى لشكر الله ذي الانعام
طفلا ثرياً سيد الأقوام
فتدفقت خيراتها بزحام
وأحلها الرحمن خير مقام
للمرسلين أتيت خير ختام
في اعظم الأفراح والأيام
ذراته في أعذب الأنعام
ان حررت من ريقة الأوهام
وتخلصت من ظلمة الآثام
قد أنقذ المظلوم من آلام
ونأى به عن ساحة الاجرام
للحق والتوحيد والاسلام
وأقامه في الكون خير مقام
وحماه من اهوائه بنظام
ليكون للأديان خير امام
صرنا بدينك افضل الأقوام
ان نعتصم بكتابنا الاسلامي
ان ننتصر بالخالق العلام
ونعد للأعداء في إحكام
ونرد كيد عصائب الاجرام
أنت الشفيق وذو المقام السامي
واقبل حبيب الله طيب سلامي

المعسكر الفران

فعصوا امر قائدهم ، وتناسوا امر
الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ،
فافسحوا المجال لخيالة قريش بقيادة
خالد لاحتلال موقعهم ، فانقلب ميزان
المعركة رأساً على عقب وتنادت قريش
الى القتال فعاد المنهزمون ، فاختل امر
المسلمين واضطرب امرهم ، وفشا
القتل فيهم ، وتخلّى عن القتال
اكثرهم ، وبقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يواجه بفئة قليلة جداً من

ربما كانت أشد لحظات التاريخ
الاسلامي في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم ، هي تلك اللحظات الرهيبة
في معركة أحد ، التي انكشف فيها
المسلمون بعدما أوشكوا على تحقيق
انتصار كامل على قريش ، حيث أولى
القرشيون ظهورهم للمسلمين ،
وتخلّوا عن معسكرهم فارين ، فاغرى
ذلك معظم رماة المسلمين بأعلى الجبل
في احد بالمسارعة الى الغنيمة ،



للاستاذ / أحمد العناني

قالوا « قتل رسول الله » ؟
قال انس : « فما تصنعون بالحياة
بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات
عليه ! وبأثر من ذلك المنطق السديد ،
والحضور الذهني الرائع ، انطلق
القوم مع انس الذي اندفع يقاتل حتى
اثخن بالجراح الى ان استشهد رضي
الله عنه وقد قدر ان ما اصابه كان في
حدود سبعين طعنة بحيث خفيت معالم
جسده الطاهر فلم تتعرف عليه قبل

حوله جيش قريش بكامله ، وارجف
المرجفون من قريش بمقتل الرسول
صلى الله عليه وسلم واستبدت الحيرة
بنفر من خيرة المسلمين بينهم ابو بكر
وعمر ، وهم يظنون ان الرسول عليه
الصلاة والسلام قد لقي حتفه ،
ويرون الحال الموحشة التي آلت اليها
الامور حين مر بهم أنس بن النضر
رضي الله عنه فهتف بهم « ما
يجلسكم ؟ » .

دفنه سوى اخته وكان لكل سيف عائد الى المعركة من سيوف المسلمين اثره الكبير ، حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقاتل وهو جريح قتالا لا نظيره في الثبات ومن حوله نفر من امثال الابطال من الرجال والنساء كابي دجانه وسعد وعلي وام عمارة والزبير ، وكانت عودة العائدين الى الرسول عليه الصلاة والسلام في اشد لحظات الحرج مما مكن له عليه الصلاة والسلام وسلك الفئة من الابطال ان يشقوا طريقهم للنجاة ، وبذلك فوت على قریش اعظم ما كانت تتمناه ، وتتنزى شوقا اليه ، الا وهو قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وفي ذلك الموقف الضنك وصف القرآن الكريم عودة أنس والعائدين بقوله تعالى : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا) آل عمران/ ١٧٣ . ان الحرج الذي يواجهه المسلمون اليوم في العالم يجعل من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين في تلك اللحظات الرهيبة من أحد موضعا للقدوة اللازمة . وهناك طائفة من المسلمين اليوم يصرون على التنكر للوجود الذاتي للاسلام والمسلمين ككيان متفرد بذاته ومواصفاته ، ويسلكون مسلكا هروبيا ذليلا ، وكأنما زال الاسلام ورفع القرآن وطويت صحائف التاريخ .. وهم يصرون على ان الانضواء تحت احد المعسكرين الرائجين لروسيا وامريكا حتمية لا مفر من قبولها ونحن

مع هؤلاء في ان الناس من الفريقين قد جمعوا لنا وان كليهما يريد بنا شرا . ولكننا مع الله جل جلاله ، في ان ذلك جدير بأن يعيدنا الى المعركة وان يزيدنا ايمانا ، واننا لن نلقي الامثل المصير الزاهر لانس بن النضر رضي الله عنه ، او النجاة الممهدة لنصر لاحق عظيم جعل من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في نفس المكان من يثرب اعظم حاكمين في زمانهما ؛ وجعل من طيبة اعظم مدائن الدنيا قاطبة .

والواقع الذي لا يستطيع ان ينكره اي كان من المتصدين للحدث باسم الاسلام هو انه لا حاجة لنا بالحياة بعد القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ، تماما كما لم يجد انس بن النضر رضي الله عنه حاجة للحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به او نموت جميعا من دونه هو ان القرآن الكريم هو معسكر غير معسكر امريكا او روسيا ، وانه لا يمكن ان يندغم او يتوافق مع ما تدعوه امريكا او روسيا ومن لف لفهما من السائرين في فلك كل منهما .

ان الحقيقة الخطيرة الكبرى هي ان القيمة الاساسية لحياة المسلم هي توجيه الدنيا لخدمة الآخرة .

فليس هناك فوز في الاسلام الا الفوز الذي حدده القرآن الكريم :

(فمن رزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) آل عمران/ ١٨٥

وليس هناك طريقة سهلة الى ذلك الفوز بنص القرآن الكريم : (ام

والذين يعتبرون العامل الاقتصادي ،
وحيازة ادوات الانتاج المقرر الوحيد
لحركة الحياة .

والذين يجعلون من مواصفات
الحرية الانفلات من اوامر الله ورسوله
ونواهيها ، هم جميعا قوم جهلوا
وطغوا وآثروا الحياة الدنيا وجعلوا
الجحيم لهم مأوى ..
وبرغم انف المضللين والضالين
معا .

وانوف المعتدين على حقائق
الاسلام وصريح القرآن ، يظنون انهم
بذلك يرضون المتنفذين في الارض
ليرضوا عن استبدالهم بالمسلمين ،
وليديموا ترفيه انفسهم على حساب
المقهورين ، رغم انوفهم جميعا تسري
دعوة الحق في الوطن الاسلامي
الواحد كله ..

لقد قطع العقل الاسلامي مرحلة
الوعي الاولى ودخل مرحلة التركيز
والرؤية الواضحة للحقائق ..
وبات يعرف الطريقة الوحيدة
المقبولة للوضع السليم في الاسلام ،
الا وهي الحكم بشريعة الله وسنة
رسوله والعمل الجاد لاستنباط الصيغ
اللازمة لتسيير المستجد من شئون
الحياة ، تحت شمس القرآن والسنة .
وبات يعرف موقفه واضحا من كلا
المعسكرين .

ولا يمكن لاية فكرة دخيلة ، ان
تجد وسيلة للنمو في عمق الذات
الاسلامية المتميزة الفريدة في اسسها
وتوجهاتها ، وإن الزمن ليجري في
صالحنا .
وقبل ذلك وبعده فإن الله معنا .

حسبتهم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله الا ان نصر الله
قريب (البقرة / ٢١٤ . والمعسكران
الامريكي والروسي كلاهما يبعد الدين
عن الحياة ، ولا خلاف بينهما في
السعي من اجل الحياة وحدها ،
سوى ان احدهما يطلق حرية الافراد
في التزامهم على الهدف الدنيوي ،
وليتخمن من يتخمن بشيعة ، وليجمع من
يجوع في فقره وعريه فيما الاخر يجعل
الحرية لحزب تقوم عليه الدولة
بدعوى تأمين الجميع من الجوع
وليريض من يرضى وليسخط من
يسخط .

لكن القرآن الكريم يحكم الناس
بقانون الله جل جلاله فيؤمن بأمر الله
شبع كل مسلم فيما يترك الباب
مفتوحا للتنافس على رضوان الله
والفوز بالجنة والزحزحة عن النار ،
بالإيثار والتطوع والمحبة ، مكرما
أرادة الانسان ، ورافعا شأن التقوى
فوق كل شأن .

فكيف يمكن تسليم زمام القرآن
وهذه رسالته الى معسكر من هؤلاء او
اولئك ..

ان الذين يقولون بفصل الدين عن
الحياة ، وإفراغ الحكم من حكم
الشريعة . والذين يقولون لا سياسة
في الدين ولا دين في السياسة ، والذين
ينادون بتسيير الحياة بغير الحكم بما
نزل الله ، والذين يرفعون رابطة الوطن
او اللسان او العرق فوق رابطة الله ،

« شاع استعمال كلمة « أمي »
بمعنى جهل القراءة والكتابة مع أنها
تعني معنى قوميا اعتقاديا لسائر
الناس من غير سلاله بني
اسرائيل ... »

اعتقد بنو اسرائيل انهم وحدهم
أصحاب الحظوة عند الله الجديرين
بتلقي خطابه بما دسه أحبارهم على
التوراة بجعل النبوة حكرا على اسحق
ونسله والى الأبد وحرمان شقيقه
اسماعيل ونسله من عهد الله . وهو ما
يعرف عندهم بشعب الله المختار أو
الشعب الذي اختاره الله وفضله على
سائر خلقه .

وتحكي التوراة سبب هذا الاختيار
بخطأ ارتكبه حام بن نوح عليه السلام
حين لم يغط عورة أبيه الذي شرب
خمرا وسكر وغطاه ولداه سام
وبافت . فلما أفاق وعلم بذلك قال :
« ملعون كنعان عبد العبيد يكون
لاخوته . وقال يبارك الرب اله سام .
وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله
ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن
كنعان عبدا لهم »

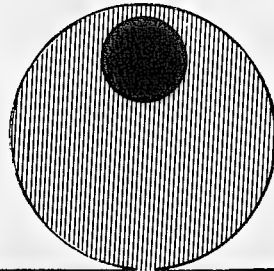
(تكوين ٩)

وقد ارتبطت الديانة اليهودية
بسلالة معينة كالهندوكية والشننتية
وان امتازت هاتان الديانتان بأن
المؤمنين بهما لم يتعرضوا للشقات .
وتحت تأثير أكذوبة الشعب المختار
اعتقد اليهود ان أرواحهم تتميز على
باقي الأرواح لأنها جزء من الله عزيزة
عليه والأرواح الأخرى شيطانية

في معنى الاسم الأمي

للأستاذ /

محمد حسن عبد العزيز



شبيهة بأرواح الحيوانات وأطلقوا على الشعوب الأخرى صفة « الغويم » وترجمتها العربية « الأميين » وهم الذين خلقهم الله على هيئة الانسان ليكونوا لائقين بخدمة شعب الله الذي خلقت من أجله الدنيا .

واعتبرت المسيحية غير المسيحيين « أميين » ذلك بأن المسيح عليه السلام جاء لخراف بني اسرائيل الضالة ، وحذر من دعوة الغرباء الى هذا الدين « .. الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ولكن اذهبوا بالحرى الى خراف بني اسرائيل الضالة » (متى ١٠) ولذلك أطلق على بولس الرسول « شا عول » رسول الأمم لأنه اتجه بدعوته الى غير بني اسرائيل بعد أن يؤس منهم .

واذن فالسلالات الأخرى من غير بني اسرائيل من الأمم أو الأميين التي لا ترقى الا لمستوى الحيوان والمسخرة لخدمة شعب الله .

وعلى أساس نعمة الاستعلاء هذه وعقدة الانفراد والتفرد ، اتخذ بنو اسرائيل من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام موقفا مؤسفا مع أنه جاء مصدقا لما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وكانوا من قبل يبشرون ببعثه بالرسالة الأخيرة الخاتمة للرسالات . لكنهم رفضوا الايمان به لاعتقادهم ان النبوة لا تكون الا منهم .

أما هو فقد جاء من العرب « الأميين » أي من الأمم الأخرى .

ومن هنا جاء اشتقاق كلمة أمي التي شاع تفسيرها بمعنى جهل القراءة والكتابة على غير ما يستوجبه اشتقاق الكلمة في سياق الآيات القرآنية . ومدلولها اللغوي على لسان العرب .

فبعض المفسرين ينسب كلمة أمي بمعنى جهل القراءة والكتابة الى الأم وقد كان الجهل بهما شائعا في العرب رجالا ونساء . كما كان في غيرهم مثل اليهود وان كان في العرب أكثر منه في غيرهم وان عرف عنهم فصاحة اللسان وبلاغة البيان وقرض الشعر بالسليقة وحفظ الانساب ، وكل ذلك غير منوط بقراءة وكتابة فتلك طبيعة أهل البادية .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام على عادة قومه . وقد نزل عليه جبريل عليه السلام بأول آيات الوحي (اقرأ) فقال : ما أنا بقارئ أي أنا لست ممن يقرأون لأنني لا أعرف القراءة .

ويرى البعض ان الكلمة جاءت بمعنى « عربي » وهو أقرب المعاني لمقصد آيات بل هو معنى جزئي للكلمة التي تعني في اجمالها غير اليهود لأن الكلمة بمعنى قومي اعتقادي . وجاء في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٩ بمعنى من لا كتاب لهم وهو أوفى المعاني لاشتقاق الكلمة . وعلى كثرة ما افترى المفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر أحد عليه أنه كان يقرأ ويكتب . ولم يرد بالقرآن الكريم آية واحدة ترد

دين ابراهيم عليه السلام بعد أن خاب
أمله في دين اليهود الذي تحول على يد
العبرانيين الى دين خاص بأبناء
اسحق وتحولت شريعتهم الى
جيتوفكري .

وقد كذب القرآن دعوى اليهود بأن
الله لا يخاطب الأمم ولا يبعث أنبياء
الا منهم : (هو الذي بعث في
الأميين رسولا منهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين) ٢/ الجمعة .

وان محمدا عليه الصلاة والسلام
قد بعث للناس جميعا بما فيهم بنو
اسرائيل : (الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم إصرهم
والأغلال التي كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي أنزل معه أولئك هم
المفلحون . قل يا أيها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا الذي له
ملك السموات والأرض لا اله الا هو
يحيي ويميت فأمنوا بالله ورسوله
النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)
١٥٧ و ١٥٨ / الأعراف .

« فالنبي الأمي هو المبعوث من غير
سلالة بني اسرائيل . وهو أيضا أمي
بين الرسل المبعوثين من سلالة اسحق
وهو من سلالة اسماعيل عليهما
السلام ، والقرآن العربي أمي بين

على ذلك .

ولا ينكر أحد انه عليه الصلاة
والسلام لم يشارك قومه فيما ألفوه من
قرض الشعر (وما علمناه الشعر
وما ينبغي له) ٦٩/ يس ، وان كان
بليغا فصيحاً .

ولأنه لم يكن قارئاً كاتباً محباً
للعزلة ميالاً للفكر . فانه لم يطلع على
كتب السابقين التي ظهرت أول ترجمة
عربية لها على يد سعديا الفيومي عام
٩٤٢م أي بعد وفاته بأكثر من ثلاثمائة
عام ومن ثم فان ما اخبر به القرآن
الكريم من أنباء الأمم السابقة انما
مصدره الوحي من الله .

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون) ٤٨/ العنكبوت

(وما أتيناهم من كتب يدرسونها
وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)
٤٤/ سبأ

(أم لكم كتاب فيه تدرسون)
٣٧/ القلم .

ولم يعرف عن العرب دراية بزراعة
ولا صناعة ولا تجارة ولا علم ، وغاية
جهدهم الاشتغال بالنقل البري
يحملون التجارة على ظهور الابل في
رحلتي الشتاء والصيف : (قل هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان
تتبعون الا الظن وان أنتم الا
تخرسون) ١٤٨/ الأنعام

(لايلاف قريش . ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف) ١ و ٢/ قريش

وقد شاع بينهم انتظار نبوة ودين
وتطلع الى شريعة الهية تعيد لهم
مجدهم ووحدتهم ومنهم من تطلع الى

الذهب ردوه ، أما أولئك الذين يتبعون ما لحق كتابهم على يد كهانهم من تحريف وتزييف ، فانهم اذا أوْتمنوا على دينار لا يؤدونه لصاحبه لأن شريعتهم المحرفة لا تلزمهم في معاملاتهم مع غيرهم من الأمم برد تلك الأمانات .

جاء في التأمود : ان الله لا يغفر ذنبا لليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي الا برأ .

« من رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر »

« يحرم على اليهودي ان ينجي أحدا من باقي الأمم من هلاك أو يخرج من حفرة وقع فيها » .

ولا يمكن أن ينصرف معنى لفظ « الأميين » الى من لا يعرف القراءة

والكتابة حيث لا يستقيم المعنى مع سياق الآيتين المتقدمتين من القرآن الكريم ، وأهل الكتاب شأنهم شأن غيرهم في جهل القراءة والكتابة والتكليف لا يناط بعدم الجهل بهما : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون) ٧٨/ البقرة .

والأميون هنا جماعة من العرب تهودوا وكانوا لا يعرفون ما يتلى عليهم من التوراة بلغة لا يفهمونها ولا يعرفون معناها ، وكل حظهم اتباع الظن والتحريف الذي دسه الاحبار على كتاب موسى عليه السلام ، فهم جاهلون بحقيقة الكتاب ومع ذلك اعتبرهم اليهود من الأميين لأنهم ليسوا من سلالة بني اسرائيل .

الكتب التي نزلت باللسان العبراني ، فالرسالة الخاتمة لا يجوز لها أن تستأثر بأمة ولا تحجب عن أمة خلافا لما زعم اليهود .

ويقول أستاذنا العقاد رحمه الله في كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ولعله من علامات الخير ان تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أمور الدين والدنيا وتبقى للمسلم عقيدته في حقوق أمته مصونة في قلوب المحافظين والمجددين ملحوظة في آراء الوادعين والتأثرين .

فالأمة بمعنى الناس جميعا ، فلا تمايز بين خلق الله ولا استعلاء ، وحسب المرء أن يفضل علمه وعمله . فالأمة الواحدة هي موضع خطاب الله وهي الوعاء الذي تصب فيه نتائج التكليف .

وقد ورد لفظ الأميين مقابلا لآل الكتاب أو من ليس لهم كتاب .

(ومن أهل الكتاب من ان تأمذ ، بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) ٧٥/ آل عمران .

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتكم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ٢٠/ آل عمران .

وقد أنصف القرآن بعض أهل الكتاب ممن يعرفون حقيقة كتابهم وهم من اذا أوْتمنوا على قنطار من

يوم أن أمر خليله ابراهيم بالهجرة بولده اسماعيل عليهما السلام الى مكة ، ومع اتساع حركة أبناء اسماعيل صارت لغتهم لغة الثقافة والحكمة والأدب ، ثم تحقق دعاء ابراهيم وولده : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) ١٢٩/البقرة .

ومن هذه السلالة الطيبة الطاهرة كان النبي الأخير بكتاب حافظ على لغتهم تتلى بها آياته فلا يصمت أبدا . وصار البيت الرمز المجسد لوحدهم الفريدة يذكروهم باليوم الآخر الذي هو غاية الدين والايمان .

كان رسولا من الأميين الى الأميين وإلى الناس أجمعين ، هكذا علم منه أهل الكتاب والمشركون في مكة والمدينة وفي كل مكان بلغت الدعوة خارج الجزيرة وما وراءها ويثبتها الواقع العملي المتمثل في رد المقوقس ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وخطابه الى هرقل والنجاشي .

نبي أمي لأنه ليس من سلالة الشعب المختار الذي ظن ان النبوة حكر عليه وانه اختار الاله واختاره الاله .

والأميون هم سائر خلق الله بما فيهم السلالة الممتازة المزعومة . وهكذا استخدم القرآن الكلمة . أما تفسيرها بجهل القراءة والكتابة ففيه ارهاق للنصوص وتحميلها بأكثر مما تحتمل واستنباط ما لا يفيد .

فكل من ليس يهوديا من سلالة اسحق هو أمي أو من الأمم الأخرى لأن اللفظ يعني معنى قوميا اعتقاديا يخص السلالة الممتازة والشعب المختار ولا يتصل بحال بقراءة ولا كتابة ولا يمس من قريب أو بعيد شخص النبي عليه الصلاة والسلام . أما الحديث الشريف « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » متفق عليه فمعناه ان عبادات الاسلام من صلاة وصيام وحج لا تعتمد على كتاب وحساب انما تعتمد على رؤية القمر في تحديد أوائل الشهور : (يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج) ١٨٩/البقرة .

أما أوقات الصلاة فيعتمد في تحديدها على رؤية الشمس : (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) ٧٨/الاسراء .

ومعجزة نبي الاسلام لم تكن في عدم المامه بالقراءة والكتابة وانما كانت في نظم القرآن الكريم وبيانه وبهما كان التحدي ولا يزال ، وقد نزل باللغة الأولى التي علمها الله تعالى للانسان الأول : (خلق الانسان علمه البيان) ٣و٤ الرحمن . (وعلم آدم الأسماء كلها) ٣١/البقرة .

تلك اللغة الخصبة فائقة الثراء والملاكات والقابليات ، المستجيبة بوفرة مفرداتها لدواعي الاشتقاق أو الميزان الصرفي لهذا الاشتقاق ، القدرة على البيان والايضاح وقد تعهد الله بحفظها ومهد بها للرسالة الخاتمة من

رؤية
فنية

عصمة الأنبياء

للدكتور/ محمد الانور حامد عيسى

والرياء والشح الخ ..
والعصمة الظاهرية من الذنوب
مثل : الشرك والكذب والقتل وشرب
الدمر والزنا الخ ..
ولعلك تسأل ما هي العصمة ؟

ونجيبك بأنها : حفظ الله ظواهر
الرسول وبواطنهم من ارتكاب منهي
عنه او ترك مأمور به ، او هي لطف من
الله سبحانه وتعالى يجعل الرسول
يتجهون الى فعل الخير ويتعدون عن
فعل الشر .

ولا يعني الحفاظ او اللطف انهم
عليهم السلام مجبورون بل يعني ان
استعدادهم كامل في التمييز بين الخير

أنبياء الله ورسوله هم الصفوة
الممتازة الذين اجتباهم الله من بين
البشر واختصهم بصفات الكمال
الخلقية والخلقية ، وجعلهم السفراء
الامناء في حمل الشرع وتبليغه الى
الناس .

واذا كانت وظيفة الرسول هي
توصيل كلمة الله الى الناس وارشادهم
بالقول والفعل والاقرار الى ما فيه
النفع في الدنيا والآخرة ، كان لزاما ان
يكون قدوة حسنة في كل ما يصدر عنه
وان لا ينطق الا بكلمة السماء ، ولن
يكون كذلك الا بالعصمة الباطنية من
الحقد والغل والكبرياء والحسد

منها قبل البعثة عمدا أو سهوا ، اما بعدها فهم معصومون منها عمدا ، ويجوز الوقوع فيها على سبيل النسيان او الخطأ في التأويل ، واذا حدث مثل هذا فان المشرع الحكيم يوجههم الى الطريق الصحيح . ويذكرهم بما وقعوا فيه من نسيان .

بعض الآيات التي يشعر ظاهرها ما يخالف عصمة الانبياء :

وقد وردت آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها ان الانبياء قد وقعوا في بعض الذنوب فلنتأمل فيها لنقف على حقيقة الامر .

اولا : ورد في حق سيدنا آدم عليه السلام انه امر بعدم الاكل من شجرة معينة الا انه بعد وسوسة الشيطان خالف الامر وبذلك صار عاصيا ورجع الى الله بالتوبة فقبلها منه ، وهذا يؤكد وقوعه في ذنب والذنوب تخالف العصمة .

يقول سبحانه وتعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة / ٣٥ - ٣٧ .

ويقول سبحانه : (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة

والشر ، وأن مراقبتهم لله في اعمالهم متحققة مع كل نبضة من نبضات القلب فهم يتحركون دائما في دائرة الاحسان والتي بينها رسولنا صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » رواه البخاري ومسلم ، ومن كان امره كذلك كان اتجاهه بالعقل والقلب معا في كل قول او فعل او اقرار ملازما لاوامر الله ومبتعدا عن نواهيه .

ونأتي الى سؤال - هل الانبياء معصومون قبل البعثة وبعدها من الصغائر والكبائر ؟؟

لعلماء المسلمين مواقف متعددة الا انهم يجمعون على عصمة الانبياء من الشرك والكذب وما يشعر بالخسة كالزنا والسرقة وكل ذلك قبل البعثة وبعدها ، وجوز بعضهم فيما عدا ذلك من الكبائر والصغائر قبل البعثة .

يقول السنوسي : « أما حكمها قبل النبوة فالذي ذهب اليه اكثر الاشاعرة وطائفة كثيرة من المعتزلة الى انه لا يمتنع عقلا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة معصية كبيرة او صغيرة » ولعلنا لا نميل الى مثل هذا الرأي الاخير ونرى ان رسل الله معصومون عن الكبائر مطلقا قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، اما الصغائر فان كانت مشعرة بخسة او تؤدي الى نفور كسرقة دينار او تطفيف كيل مثلا ، فهم معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، واذا لم تكن مشعرة بخسة فهم غير معصومين

أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا
أأنت فعلت هذا به هتنا يا إبراهيم .
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
إن كانوا ينطقون (الانبياء / ٥٧ -
٦٣ .

ويرد على هذا :

بأنه عليه السلام لم يكذب ، لانه لم
يقصد اسناد الفعل الى الصنم
حقيقة ، بل الى نفسه وانما اراد
الاستهزاء والسخرية بهم والتعريض
بضعف فكرهم واعتقادهم واعلامهم
بأن الاصنام لا تضر ولا تنفع ولا تملك
الدفاع عن نفسها ، وكأنه عليه
السلام اراد ان يقول لهم : اذا كان
عندكم شك في ان الاصنام لا تملك
شيئا فارجعوا اليها وأسألوها .

ولهذا يحكي القرآن عودتهم الى
انفسهم واحساسهم بأنهم هم
الظالمون ويصفهم بالخيبة لتأكدهم ان
الاصنام لا تنطق . يقول سبحانه
وتعالى : (فرجعوا إلى أنفسهم
فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم
نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما
هؤلاء ينطقون) الانبياء / ٦٤
و ٦٥ .

خامسا : ورد ان سيدنا ابراهيم
طلب من الله ان يريه كيف يحيى
الموتى ، وهذا يشعر بشك سيدنا
ابراهيم في قدرة الله على الاحياء وشك
الانبياء من الكبائر التي تتنافى مع
عصمتهم .

يقول سبحانه وتعالى : (وإن قال
إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى

البيئة التي تحيط به تعبد الاصنام
والكواكب ، ولقد اراد عليه السلام ان
يهديهم الى الله الحق ، فتظاهر
بالتسليم لهم بأن ما يعبدونه آلهة ، ثم
اخذ يبين لهم بطلان اعتقادهم
بالتدريج ، فالاله لا يتغير وما يعبدونه
يتغير والاله لا يغيب وما يعبدونه يغيب
والاله ليس بحادث وما يعبدون
حادث .

وما قام به سيدنا ابراهيم عليه
السلام من التظاهر بالتسليم للخصم
ثم مناقشته لبيان بطلان اعتقاد هذا
الخصم لا يتنافى مع العقل في عصرنا
الحديث وليس فيه اي شرك بل هو
توجيه عقلي للايمان بالله وبتفرده
بالكمال المطلق وتنزهه عن الحوادث .
رابعا : ورد ان سيدنا ابراهيم عليه
السلام اقسام ليحطمن الاصنام وفعلا
حطمها الا الصنم الكبير فقد تركه بعد
ان وضع على كتفه الحمول وحينما أتى
القوم هالهم ما رأوا ثم سألوا سيدنا
ابراهيم عن الذي حطم آلهتهم
فأجابهم بأن الذي حطمها هو كبير
الاصنام وطلب منهم ان يسألوه ،
وعلى هذا فقد وقع سيدنا ابراهيم في
الكذب حيث قال : ما ليس بحق ،
والكذب من الكبائر التي تتنافى مع
عصمة الانبياء .

يقص القرآن هذا الحادث فيقول :
(وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن
تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا
كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون .
قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن
الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له إبراهيم . قالوا فاتوا به على

قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (البقرة / ٢٦٠ .

ويرد على هذا :

بأن سيدنا ابراهيم يعلم علم اليقين ان الله قادر على الاحياء ولكنه يريد ان ينتقل من علم اليقين - اي المبني على الاستدلال - الى عين اليقين اي المطبوع في القلب .

سادسا : ورد في حق سيدنا يوسف عليه السلام ان امرأة العزيز همت بارتكاب الفاحشة معه وهم هو بنفس الشيء وهذا يتنافى مع القول بعصمة الانبياء .

يقول سبحانه وتعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) يوسف / ٢٤ .

ويرد على هذا :

بأن الذي يجري في النفس له مراتب خمس : الاولى : الهاجس ، وهو ما يمر سريعا على نفس الانسان ، والثانية : خاطر ، وهو ما يبقى في النفس ويتحرك فيها قليلا ، والثالثة : حديث النفس ، وهو التردد بين الفعل او الترك . المرتبة الرابعة : الهم ، وهو توجه النفس نحو الفعل والميل اليه .

وهذه المراتب الاربع لا يتناولها التكليف ولا يؤاخذ عليها الانسان وانما يؤاخذ ويقع تحت التكليف اذا انتقل من المرتبة الرابعة ودخل في المرتبة الخامسة وهي : العزم والتصميم وسيدنا يوسف عليه السلام بحكم طبيعته البشرية ولكونه قبل البعثة دخل مرحلة الهم ، الا انه لم يتجاوزها فلا شيء عليه اطلاقا .

يقول صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبته له حسنة ، فان عملها كتبته عشر حسنات الى سبعمائة ضعف ، واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

سابعا : ورد ان سيدنا موسى عليه السلام حينما دخل المدينة مستخفيا وجد رجلين يقتتلان احدهما من شيعته من العبريين والآخر من المصريين ، وحينما استغاث به الذي من شيعته على الذي من عدوه قام موسى بدفع المصري بكفه المضمومة الاصابع فسقط الرجل قتيلًا ، وعلى هذا يكون موسى عليه السلام قاتلا والقتل كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة ، وقد اعترف موسى بأنه ظلم نفسه بقتله للرجل والظلم كبيرة .

يقول سبحانه وتعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)
القصص / ١٥ - ١٦ .

ويرد على هذا :-

بأن ما حدث كان قبل النبوة وان ما
فعله موسى في الرجل هو الوكز وهو
الدفع والضرب بالكف المضمومة
الاصابع ، ولم يقصد موسى عليه
السلام قتله ، وانما قصد دفعه بعيدا
عن الآخر ، الا ان اجل الرجل حان في
هذا الوقت . ومثل هذا يعتبر من
الصغائر التي تحدث قبل البعثة ولا
تشعر بأي خسة ولا تتنافى مع عصمة
الانبياء .

وقد وصف موسى نفسه بالظلم
لاحساسه بترك الاولى فقد كان من
الاولى ان يترفق بالرجل ويدفعه
بالكلام لا باليد .

ثامنا : ورد في حق سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه
وتعالى : (ووجدك ضالا فهدى)
الضحى / ٧ وظاهر الاية الكريمة
اشعر بعض الناس انه عليه الصلاة
والسلام ارتكب بعض الذنوب التي
تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :-

بأن الضلال يراد به : اما ضلال
الشرك واما ضلال الهوى واما ضلال
الطريق ، والرسول صلى الله عليه
وسلم مبرا عن الشرك وعن الهوى ،
بقي ضلال الطريق فهو عليه الصلاة

والسلام نشأ في بيئة جاهلية تعبد
الاصنام في جانب وفي جانب ثان تقول
بالوهمية المسيح وفي جانب آخر تدعي
ان عزيزا بن الله ، ولطهره وحبه للخير
كان يتمنى هداية هؤلاء الضالين عن
الحق ، الا انه لا يعرف المنهج او
الطريق الذي يسلكه لهدايتهم ولهذا
ظل متحيرا ، واثرا التحنث وحده في
الغار بعيدا عن التخطب الجاهلي ،
وكلما رجع الى القوم فزع ، وازداد
حيرة في بحثه عن طريق لهدايتهم وظل
الامر كذلك الى ان جاءه جبريل عليه
السلام بالمنهج الرباني والطريق الحق
الذي استطاع به اخراج الناس من
ظلمات الجهالة والشرك الى نور
الايمان والوحدانية . ويقول الفخر في
تفسير الاية الكريمة : (ووجدك ضالا
فهدى) أي : « وجدك ضالا عن
النبوة فهداك اليها ، ووجدك ضالا عن
المعيشة وطرق الكسب ، ووجدك ضالا
في زمان الصبي في بعض المفاوز » .
تاسعا : يقول سبحانه وتعالى : ()
ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض
ظهرك) الانشراح / ٢ و ٣ والفهم
الظاهري للآيتين الكريمتين يشعربأنه
عليه الصلاة والسلام ارتكب ذنبا
عظيما وهذا يخالف العصمة .

ويرد على هذا :-

بأن المراد بالوزر ما يحسه الانسان
من ثقل عظيم نتيجة للخوف او القلق
او المعاناة الشديدة . ولقد فوجيء
صلى الله عليه وسلم اثناء تحنثه
بسيدنا جبريل ينزل عليه ويضمه

ويرد على هذا :-

بأننا قلنا : انه يجوز ان يصدر عن الانبياء قبل نبوتهم بعض الصفات التي لا تشعر بخسة وعلى هذا فان المراد بما تقدم أي في صباك ، وما تأخر أي في شبائك او « ان المراد ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر ، فان الرجل المعتبر اذا احسن بعض خدمه او اساء فانه يقال له انت فعلت ذلك وان لم يكن هو فاعله بنفسه » .

وفي تفسير آخر نستريح له ان المراد بالمغفرة لا مغفرة الذنب وانما المغفرة لترك الاولى ، ففي اسرى بدر مثلاً قبل صلى الله عليه وسلم الفداء طمعا في هداية القوم فيما بعد ، وكان الاولى قتلهم حتى يذل الكفر ، ففي هذا الموقف ترك صلى الله عليه وسلم الاولى فعاتبه ربه سبحانه وتعالى واعلمه بما كان ينبغي ان يفعله في مثل هذه الحالة ، فمن حق الرسول ان يجتهد لكن المشرع سبحانه يصحح له الاتجاه في حالة ترك الاولى .

وأيضاً فقد انشغل صلى الله عليه وسلم عن ابن ام مكتوم وهو من المسلمين السابقين وكان اعمى ، جاء يسأله عليه الصلاة والسلام في امر من امور الدين انشغل عنه بحديث مع كبير من كبراء قريش طمعا في هدايته للاسلام ، فعاتبه ربه سبحانه وتعالى لتركه الاولى . وقد سمي سبحانه ترك الاولى بالذنب ، لان محمدا خاتم الرسل ولا يجب ان يصدر عنه مثل هذا فعظم الموقف لعظمة صاحبه عليه الصلاة والسلام .

اليه ، ويطلب منه ان يقرأ ولم يكن لنبينا عهد بجبريل ولا بالقراءة ، ولهذا انتابه عليه الصلاة والسلام الخوف والقلق واحس برعدة في جسمه الشريف ، فخرج مسرعاً من الغار وفي منزله طلب من السيدة خديجة رضي الله عنها ان تزمه وان تدثره - ومع تكرار نزول جبريل وعلمه بأنه من عند الله سبحانه وتعالى شعر بالانس والاطمئنان وزالت مخاوفه مثله تماماً مثل من كان يحمل على كاهله ما لا يطيق ، ثم رفع عنه فانه يحس بالراحة . وفي بداية الدعوة لم يكن للقوم الف بالدين ، ولهذا تحمل عليه الصلاة والسلام كثيراً من الايذاء النفسي والجسدي ، واراد سبحانه وتعالى بعد هذه المعاناة الشديدة هداية القوم .

يقول الفخر الرازي : « الوزر في اصل اللغة هو الثقل . قال تعالى : (حتى تضع الحرب أوزارها) محمد / ١٠٤ اي اثقالها ، وانما سمي الذنب بالوزر لانه يثقل كاسبه ... وهو عليه الصلاة والسلام كان في غم شديد لاصرار قومه على الشرك ، وانه كان هو واصحابه فيما بينهم مستضعفين ! فلما أعلى الله كلمته وعظم امره فقد وضع وزره »

عاشرا : يقول سبحانه وتعالى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الفتح / ٢ يفيد الفهم الظاهر للنص الشريف انه حدثت مغفرة من الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام والمغفرة لا تكون الا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .

أُمِّكَ الْحَبِيبَةُ تَفَرُّوتُ

محمد مؤذن

للاستاذ / حسين القباني

كان من أوائل الشبان الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ،
والذين صبروا على أذى قريش واضطهاد الكفار لهم والتربص بهم ..
ولما أمر الرسول أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، هاجر هو مع الفوج
الثاني .

وكان يكنى « أبا العاص » ... ولكن الرسول عليه الصلاة
والسلام .. لفرط حبه له واعتزازه به .. غير هذه الكنية وسماه « أبا
مطيع » .

أنه هشام بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي .. أخو عمرو بن
العاص من الأب — أما أمه .. فهي حرملة بنت هشام بن المغيرة ..



وقد دخل في الاسلام قبل أخيه عمرو .. ورغم أنه أصغر منه سنا ..
وكان عمرو بن العاص يقول عنه دائما : « أسلم قبلي واستشهد
وبقيت ... » .

هذا يعني بوضوح أن عمرا كان يرى أن أخاه الأصغر أفضل منه ...
لأنه أسلم قبله ، واستشهد قبله أيضا .

وعاد من الحبشة الى مكة ، بعد أن علم بهجرة المصطفى عليه
الصلاة والسلام الى المدينة .. وقرر أن يلحق بالرسول ، ولكنه كان يعلم
أن المشركين كانوا يتربصون بهم ، ويمنعونهم من اللحاق بالرسول في
المدينة حتى لا يكثر عددهم وتقوى شوكتهم ... وكان هشام ملهوبا الى

الوقوف بجانب حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فراح يلتمس السبيل للهروب الى المدينة ، ومن ثم اتفق مع عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما للهجرة معهما .. وتواعدوا على اللقاء سرا عند اضاءة - أي غدير - بني غفار على مسافة أميال قليلة خارج مكة . وفي الوقت المحدد شرع هشام في تنفيذ المخطط ... ولكنه ما أن سار في الطريق الى مكان اللقاء ، حتى فطن أهله بأمره .. فلاحقوا به وأمسكوه .. وكذلك فعل أهل عياش بن أبي ربيعة ... وأودعوهما السجن بمكة ... ليأمنوا هجرتهم .. أما عمر بن الخطاب .. فقد استطاع أن يهاجر في تلك الليلة .. وينجو من لحاق المشركين به .. وظل هشام في سجن مكة بضع سنين ، يلقي من ألوان العذاب ما يهد الجبال .. ولكنه صبر وتجلد وقاوم وهو يؤمن بأن فرج الله قريب .. وكان الرسول كلما جاءتة أنباء هذا العذاب الذي يصبه المشركون على سجناء المسلمين .. دعا ربه في قنوت الصلاة ، والمصلون من ورائه يرددون :

« اللهم انج الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين » .

واستجاب الله لرسوله .. فنجا عدد كبير من سجناء المسلمين في مكة .. ولما طال السجن بهشام بن العاص .. وعياش بن أبي ربيعة ... قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

- من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ؟

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة ، قد نجا من سجنه ولحق بالرسول الكريم في المدينة ، فلما سمع هذا القول ، وثب واقفا وقد انتضى سيفه وقال :

- أنا لك يا رسول الله ..

ووضع الوليد خطة لانقاذهما .. فتنكر في ملابس وسمت غير ملابسه وسمته ، ومضى الى مكة كغريب جاء لبعض شأنه .. وراح يتلطف مع الناس ويسأل حتى عرف مكانهما ، فاذا هما في سجن تقوم عليه الأسوار ... مقيدان لا يستطيعان حراكا .. ولكنه لم ييأس .. ولم يهن .. وانما انتهل ليلة ظلماء هوجاء الريح .. فتسلق الأسوار في غفلة من الحراس .. وهبط الى السجن ، وتحسس الطريق الى السجينين حتى عثر بهما .. وسرعان ما فك قيودهما .. وخرج بهما مستخفيا الى بعير كان قد أعدده سرا خارج مكة .. وعاد بهما الى الرسول الكريم ، الذي سر بنجاتهما سرورا كبيرا وحمد الله وأثنى على شجاعة الوليد وعلو همته ..

وتتحدث كتب التاريخ على مختلف مصادرها عن شجاعة هشام بن العاص في الحروب .. وفي اخلاصه وتفانيه لنشر دعوة الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض .. فما من مهمة عسكرية يرسله الرسول فيها الا ويعود مؤزرا بالنصر والتوفيق وقد روي عن الترمذي والنسائي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن هشام وأخيه عمرو : « مؤمنان .. هشام بن العاص .. وعمرو بن العاص » .. والايमान مرتبة أعلى من الاسلام وما من شك في أن كل مسلم يتمنى أن يشهد له الرسول الكريم شهادة كهذه ... وليس بعد شهادة الرسول شيء ..

ولم يكن هشام بطلا صنيديا في الحرب وحسب .. ولم يكن مؤمنا عظيم الايمان فقط .. وانما كان على رجاحة عقل وحسن تدبير وبلاغة قول .. فلا عجب أن وثق به أبو بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الى ملك الروم مندوبا عنه في التفاوض معه لشأن ما من شأنون الدعوة الاسلامية ، فكان نعم المندوب ، وخير السفير .

ثم جاءت معركة أجنادين بين الروم والمسلمين في أرض فلسطين ... وشارك فيها هشام وأبلى بلاء حسنا .. وكان معه أخوه عمرو .. وقد أعان كل منهما أخاه استعدادا للمعركة ... وفي هذه المعركة ، لاحظ هشام بعض التراخي في صفوف المسلمين .. فاندفع الى قلب الأعداء ، وقد سيطرت عليه الحماسة ... وغلبه الشوق للاستشهاد مع النصر وأرسل صيحته المشهورة يحث بها اخوانه في الجهاد : « أنا هشام بن العاص .. أمن الجنة تفرون » ..

وتدافع المجاهدون وراءه يتسابقون الى الاستشهاد والجنة .. وكان لهشام ما أراد .. فانتصر المسلمون .. واستشهد هو .. وقال أخوه عمرو بعد أن جمع أشلاءه من أرض المعركة : « أيها الناس .. ان الله قد استشهد .. ورفع من روحه » .. وظل عمرو كما سبق القول ، يتحدث عن أخيه هشام ويذكر فضله ، ويقول :

- لقد شاركنا في المعركة .. وأعان أحدا الآخر ، وعرضنا أنفسنا على الله .. وكلنا يسأل الله الشهادة ، فقبله وتركني .. وحرمتها ورزقها .. ألا ما أعظم هؤلاء الرجال .. ألا ان في سيرتهم لعبرة ومثالا يحتذى .. وحسبهم مكانة عند الله .. أنهم كانوا يتسابقون الى التضحية بالنفس في سبيل الله ... ويتفاخرون ، لا بالأحساب والأنساب .. وانما بالسبق في الشهادة والفداء ...

بَاقِ الْأَمْرِ الْقُرْآنُ



تكریم المصحف

جاءنا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد هذه الكلمة في الحث على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وتكريمه وعدم امتحان شيء من الأوراق والصحف التي تحمل آياته :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فإن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدى ونورا للعالمين إلى يوم القيامة وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسا ومعنى ولكن هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأخشى أن ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورا هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه إذ قصرُوا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات وكثيرا ما تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها لكن قسما كبيرا من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمامة وتوطين بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم (انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين) والآية دليل على انه لا يجوز مس القرآن الا اذا كان المسلم على طهارة كما هو رأي الجمهور من اهل العلم وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمسه القرآن الا طاهر . ويروي عن ابن عمر .. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تمس القرآن الا واثق طاهر) وروى عن سلمان رضي الله عنه انه قال لا يمسه القرآن الا المطهرون فقرأ القرآن ولم يمسه المصحف حين لم يكن على وضوء . وعن سعد انه امر ابنه

بالوضوء لمس المصحف . فاذا كان هذا في مس القرآن العزيز فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات لا شك ان هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة ان يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها مما فيه آيات قرآنية او احاديث نبوية او كلام فيه ذكر الله او بعض اسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر واذا استغنى عنها دفنها في ارض طاهرة او احرقها ولا يجوز التساهل في ذلك وحيث ان الكثير من الناس في غفلة عن هذا الامر وقد يقع في المحذور جهلا منه بالحكم رايت كتابة هذه الكلمة تذكيرا وبيانا لما يجب على المسلمين العمل به تجاه كتاب الله واسمائه وصفاته واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيرا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين والله سبحانه المسئول ان يوفقنا والمسلمين جميعا لما يحبه ويرضاه

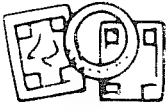
خَواطر من وحي المصطفى



جاءنا من الاستاذ عبد الرزاق حسن العائش هذه القصيدة :

فوق المأذن للإصلاح اذان
ولعرش قيصر زلزلت اركان
ما عذر من اغوتهم الاوثان
سحقا لرب ربه انسان
ومن التحايا ملجأ وامان
ما شابهها كذب ولا بهتان
طفلا تولى امره شيطان
تنمو بها الاحقاد والاضغان
ينمى اليها الجهل والحرمان
ملك الملوك وتنحني تيجان
حتى اتى بشفائه القرآن
ثمراتها المعروف والاحسان
ينمى اليه العلم والعرفان
بلغ المدى رفعت به اوطان
فتفيا بظلالها الاكوان
وحدث على نغم الهدى ركيان
نادى بجمع صفوفها الفرقان

وليقتصر جيش الاخاء ويرتفع
ايوان كسرى قد تصدع خاشعا
بسمات فجر مزقت ثوب الدجى
يا ويحكم عبدوا الدمى من صنعهم
يا رحمة للعالمين تحية
فاليك يا هادي الانام خواطري
جئت الوجود ولم يزل في عهده
فاذا الحياة خلية موبوءة
واذا السلام جرائم وحشية
واذا القصيدة دمية يعنو لها
مرض النفوس من العسير علاجه
فاذا الحياة رياض حب صادق
واذا السلام تآلف ومودة
وطن رفعت من الحضيض كيانه
ورست على حب الوثائم دعائم
وسرت على النهج القويم قوافل
فمن العجائب ان تفرق امة



بريد الوعي الاسلامي

الاشتراك بالمجلة

متعهد توزيع فيمكنكم الكتابة إلى
الشركة العربية للتوزيع ص . ب
(٤٢٢٨) - بيروت . لبنان .

والشركة ستتولى تأمين وصول
المجلة إليكم في موعدها إن شاء
الله .

إلى طالبي الاشتراك بالمجلة
يمكنكم تأمين وصول أعداد المجلة
إليكم بالاشتراك فيها عن طريق
متعهد التوزيع في بلادكم ، وفي
صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة
بالمجلة ثبت بأسماء متعهدي
التوزيع ، وإن لم يكن بالقرب منكم

الاستطلاعات

الأخ جمال رمضان ثابت - ج.م.ع

يطلب أن تخصص المجلة صفحات
أكثر لتفسير القرآن الكريم ، وأن
تواصل جولاتها الاستطلاعية عن
أحوال المسلمين ومآثرهم الحضارية ،
لأنه لاحظ توقف ذلك .
ونقول للأخ جمال :

إن المجلة حريصة على أن تصدر
أعدادها مقالات ودراسات عن القرآن
الكريم تفسيراً وشرحاً واستنباطاً
للأحكام وإظهاراً لحكم الله في أوجه
حياتنا المختلفة ، ولا يكاد عدد يخلو
من ذلك .

أما عن الاستطلاعات فإن المجلة لا
تألو جهداً في التعريف بأوطان
المسلمين وأوضاعهم ودراسة الآثار

الاسلامية كلما رأيت ذلك مفيداً ، وهي
إذ توقف نشاطها في هذا الميدان
لبعض الوقت فلكي تثب وثبة أخرى
فتستعرض أوضاعاً جديدة لعالمنا
الاسلامي .

ونشكركم لاهتماماتكم الاسلامية ،
وحرصكم على مطالعة مجلتك ، والله
يوفق للخير دائماً .

الأهل وزواج ابنهم

نقول للأخ سعد عمار الثابت - من
تونس :-

إن الزواج حالة اجتماعية ، ترتبط
فيها أسرة بأسرة لتنشأ بينهما علاقة
مصاهرة ، ومن هنا فإن الاسلام
حريص على أن يحظى الزواج بموافقة
الأهل ورضاهم ، وأن يكون الزواج

أمثالها « يقول :-

عرفتها والدة لثمانية أطفال ، توفي زوجها منذ سنوات وأبقاها وصغارها بدون وارد سوى ما يقدمه لها أهل الخير ، فخصصت لها من فاعل خير راتباً شهرياً مقداره ٣٠ ديناراً ، واستمر الحال على هذا المنوال ست سنوات .

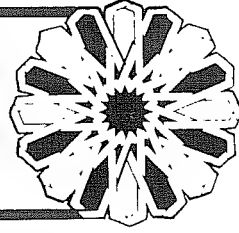
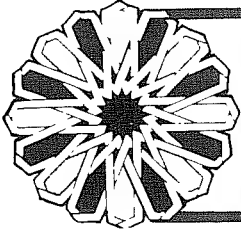
وفي المرة الأخيرة ، وقبل فترة قصيرة ، ذهبت لأعطيتها المبلغ كالعادة ، فأبت وقالت : الآن أعلمك أن ابناً الأكبر قد تخرج وعمل . ومن فضل الله فقد أصبحنا الآن بنعم . وبما أنني يا أخي ذقت مرارة الفقر ، فاني أصبحت أشعر بحالة الأرامل الفقيرات ، وأتألم لهن كثيراً . وعلى هذا الأساس فاني أريد تخصيص مبلغ « ٣٥ » ديناراً اردنيا شهرياً للأرامل والأيتام وللعائلات المستورة من راتب ابني هذا . وقالت تفضل ، هذه الـ « ٣٥ » ديناراً الدفعة الأولى في سبيل الخير . وقالت لي : أرجو منك يا أخي أمرين . الأول : أن تقول لكل عائلة « مستورة » تذهب إليها : إن الله مع الصابرين ، وليس بعد الضيق إلا الفرج . والثاني : أن تطلب من الأرامل اللواتي يخصصن نصيب من مبلغنا هذا أن يدعون لولدنا بالتوفيق والصحة والعافية كما كنت تطلب مني أن أدعو بالخير لأبناء من كانوا يحسنون لنا عن طريقك

فخرجت من بيتها وأنا أقول : دنيا تحوي أمثال هذه المرأة المتواضعة الصابرة الكريمة فانها لازالت بخير ..

مظهر فرح للجميع ، ولما كانت خبرة الشاب - أو الفتاة - في مثل هذه الأمور محدودة ، فإن الوالد والوالدة يقدمان النصح ، ويرشدان ابنهما إلى من تصلح له زوجا ، ويكون ذلك من واقع حبهما لابنهما وحرصهما عليه . وليس الحب ، أو العشق على حد قولك - هو كل شيء في الزواج ، بل ذات الدين والأخلاق الفاضلة أولاً ، والرغبة في إعفاف النفس ، وإنجاب النسل الصالح من زوجة صالحة ، وقد تغيب عنك أشياء كثيرة لا بد من توافرها فيمن تريدها زوجة لك ، ولا تهتم إلا بمظهرها فقط ، والمظهر غالباً ما يكون خداعاً خصوصاً في فترة الخطوبة ، فكل من الخطيبين حريص على أن يظهر بأحسن مظهر ، ومن هنا فإن الولد العاقل ينشئ حواراً بينه وبين والديه ، حتى يقتنع بوجهة نظرهما أو يقنعهما هو بوجهة نظره ، وبذا يتم الفرح في أجمل صورة ، حيث رضا الوالدين من رضا الله سبحانه . أما إذا استعصى الوفاق ، فاحرص على إرضاء والديك ، ولا تسيء إليهما ، مع العلم بأنه ليس لهما أن يرغماك على الزواج ممن لا تريدها ، ولا أن يمنعاك من الزواج بمن تحبها ، ولعل ذوى القربى يستطيعون التوفيق بينكم ، والله يتم على خير .

أكثر الله أمثالها

حمل البريد إلينا رسالة الأخ الاستاذ محمود زيدان سفاريني .. كتب فيها تحت عنوان « أكثر الله



قرية كاملة تعتنق الاسلام

نشرت صحيفة الرائد المغربية بتاريخ
١٩٨١/٩/٣٠ تحت هذا العنوان تقول :

يعزمون، إعتناق الاسلام قد إحتشدوا في حفل شيق ، كان قد زين باللافتات التي تحمل آيات قرآنية ، وكلمة لا إله إلا الله ، وكانت الوجوه مستبشرة ، يلوح فيها نور الايمان ، قلوب صافية كاللوحه البيضاء بعد أن هدم الاسلام ما كان قبله ، وزكي القلوب .

بدأ الحفل بتلاوة آية من الذكر الحكيم ثم ردد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة الاسلام فدخل أكثر من ١٥٠ شخصا في الاسلام وعلت هتافات الله أكبر ، وسبق أن أسلم أكثر من ألف شخص بفضل جهود الدعاة المحليين وخاصة جهود جمعية إشاعة إسلام في ترنلوبلي ، التي يرأسها الشيخ عبدالرحمن الرفاعي .

وتحدث سماحة الشيخ الندوي بهذه المناسبة وأعرب عن غبطته بحضور هذه المناسبة السعيدة ، وأوضح أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الذي يسلم إيمانا وإحتسابا كان كمن ولدته أمه ، وقال إن الله شرفكم بالاسلام وهو نعمة

كانت زيارة (ميناكشي بورم) التي تعرف الآن « برحمت نجر » بعد أن اعتنق معظم سكانها الاسلام وغيروا اسم القرية ، أسعد لحظات الحياة ، وأمتعها ، وقد كنا سمعنا وقرأنا في الصحف عن إسلام جماعة كبيرة تتراوح بين ٨٠٠ إلى ألف شخص ، وما آثار هذا الحادث من صدى في الأوساط السياسية ، ولكن الزيارة تركت أثارا لا تحصى ، فان إجتماع الاخوان الجدد الذين دخلوا في الاسلام ومظاهر الاخاء الاسلامي الذي يقضي على سائر الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والحماس والروح والعواطف المتدفقة وبريق الأمل في المستقبل الزاهر الذي كان يتجلى في وجه المسلمين الجدد ، كان قد بعث في القلوب الأمل في مستقبل الاسلام وصلاحيته لجذب القلوب ، وقوته في التآخي .

وصلنا إلى القرية من مصيف كوتالم حيث انتقلنا إلى زيارة ترنلوبلي ، وكان المس الجدد وعدد كبير من الدير كانوا

عظيمة لا تساويها نعمة ، وأصبحتم إخوانا لنا ، لا فضل بيننا وبينكم إلا بالتقوى ، وهنا سالت الدموع من العيون ، ودموع الفرح أحلى الدموع ، وذكر سماحته قصص الصحابة رضي الله عنهم . كيف كانوا يتسابقون إلى الخير بعد الاسلام ، ويصبحون دعاة إلى الاسلام ، ثم دعاهم إلى التمسك بتعاليم الاسلام والاهتمام بالاخلاق الحسنة ، وتعلم مبادئ الاسلام ونظام حياته ، والتوحيد الخالص ، وبدء الحياة من جديد ، وأكد سماحة الشيخ الندوي ضرورة فتح مدارس ، ومراكز لتربية البالغين ، وتعليم الأطفال للمسلمين الجدد ونشر التعاليم الاسلامية ، واطلع على الاجراءات التي تتخذها الجمعيات الاسلامية في المنطقة في هذا المجال .

سؤر المؤمن شفاء

لقد اهتزت الجماهير بهذه التجربة الغريبة في حياتهم ، فقد مر المسلمون الجدد في جاهليتهم بتجربة قاسية ،

كان يحرم عليهم أن يجلسوا مع أعضاء الطبقة الراقية من الهندوك ، أو يأكلوا معهم ، أو يستخدموا الآبار التي يستعملونها ، فضلا عن الشرب أو الأكل في إناء واحد ، ومروا باحتقار ومذلة ، ولكن هذا الحفل الاسلامي شهد تجربة جديدة خلقت أثرا طيبا ، إذ قدمت كأس إلى المسلمين الجدد ليشرّبوا منها فشرّبوا منها ثم شرب منها العلماء والقادة الجالسون على المنصة ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، والاستاذ عبدالكريم باريكه ، ورئيس العصبة الاسلامية ، ونواب البرلمان الآخرون من المسلمين ، وكان في هذا السؤر شفاء لما في الصدور ، فسبحان من شرفنا بنعمة الاسلام .

وبعد هذه الحفلة التاريخية توجهنّا إلى مسجد متواضع بناه المسلمون الجدد بأيديهم حديثا بعد أن هجروا معبدهم الهندوكي ، وصلينا المغرب مع الأخوان والمصلين الجدد ، ومرة أخرى تلاشت سائر الفروق ، وقام في صف واحد ، رجال مختلف الطبقات الذين وحدهم الاسلام .

قصة الاضطهاد الذي يدفع فقراء الهند لاعتناق الاسلام

كما ذكرت جريدة الاتحاد الطبيانية بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٦ حول هذا الموضوع ايضا وقالت تحت هذا العنوان :

وقد حملوا امتعتهم القليلة على عربات تجرها الثيران وارتدوا اسمالا بالية

نيودلهي - أ ف ب : خرج حوالي مائتي شخص من المنبوذين الهندوس

فرارا من قريتهم « نيزامبور » الواقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من نيودلهي . بحثا عن الحماية في العاصمة الهندية من مضايقات السكان ورجال البوليس في قريتهم التي تنتمي الى الطبقة الهندوسية العليا .

وصرح أحد « الهارجيان » (وهو الاسم الذي يطلق عادة في الهند على المنبوذين أي الطبقة الدنيا من الهندوس) قائلا (إننا نرغب في العيش كبني البشر الآخرين .. إنهم (يقصد هندوس الطبقة العليا) يضربوننا حينما يشاءون ويعتدون على زوجاتنا حين تستبد بهم الرغبة ويضرب أطفالهم أطفالنا في المدارس من باب اللهو .. لقد تحملنا كل ذلك سنوات طويلة ولكننا قررنا الاحتجاج الآن » .

وقد احتل المنبوذون فجأة أحداث الساحة في الهند منذ أن قرروا اعتناق الاسلام أو البوذية للافلات من المصير الذي ينتظرهم وكذا اعتنق عدة آلاف من الهارجيان (أبناء الله) الاسلام في جنوبي الهند ويعتق حوالي مائتي ألف آخرين البوذية خلال الشهر القادم خلال تجمع كبير سيعقد في أحمد آباد مركز صناعة النسيج في غرب الهند . ويمثل الهارجيان وهم الطبقة الدنيا في النظام الهندوسي حوالي ١٥٪ من السكان في الهند أي ١٠٣ مليون نسمة من بين تعداد السكان في الهند البالغ ٦٨٠ مليون نسمة ويعمل أغلبهم في صناعة الأذية والخدمة في المنازل أو كعمال

زراعيين .

وتعد المصادمات بين المنبوذين وأفراد الطبقة العليا ظاهرة حديثة العهد إذ طالما اعتقد الهارجيان حتى وقت قريب أنهم إنما خلقوا لخدمة الطبقة العليا ولم يحدث قط أن إحتجوا أبدا حتى في حالة تعرض البعض منهم للضرب الذي يفضي للموت أو في حالة تعرض بناتهم للاعتداء . إلا أنه بعد حصول الهند على الاستقلال في عام ١٩٤٧ حصل الهارجيان على بعض الحقوق لاسيما حق مجانية التعليم وحق التعيين في بعض الوظائف العامة التي كانت قاصرة على فئات متميزة وقد انخرط بعض الهارجيان في العمل السياسي وأصبح البعض منهم وزراء كما يشغل البعض منهم مقاعد في البرلمان الفيدرالي وقد أدى تمردهم إلى وقوع حوادث دامية بينهم وبين هندوس الطبقة العليا خلال الأعوام الأخيرة الماضية وقد قرروا الآن الانضمام جماعة إلى بعض الطوائف الدينية الأخرى . إلا أن أغلبية الهارجيان في الريف الهندي تعيش إلى الآن كقطعان الماشية حيث تتعرض للتعذيب إلى حد الموت في بعض الأحيان عند أقل بادرة احتجاج ويسكن الهارجيان عند أطراف القرى في مساكن بنيت بالطين ويعملون ١٨ ساعة يوميا مقابل وجبة واحدة أو أحيانا مقابل رداء ويحظر عليهم استخدام مياه الآبار الخاصة بالطبقة العليا .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت - لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر :	القاهرة - مؤسسة الاهرام - شارع الجلاء .
السودان :	الخرطوم - دار التوزيع - ص.ب (٣٥٨)
ليبيا :	طرابلس - المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر :	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب :	الدار البيضاء - سابرس - محمد برادة
تونس :	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الأردن :	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية :	جدة : مكتبة مكة - ص.ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة - ص.ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط :	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص.ب (١٠١١)
صنعاء :	دار الفكر
البكرين :	دار الهلال
قطر :	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي :	المؤسسة العامة للطباعة والنشر - ص.ب (٦٧٥٨)
دبي :	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت :	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

٣	لرئيس التحرير	كلمة الوعي
٨	للاستاذ علي عبدالعظيم	وانه لتنزّل رب العالمين
٣٥	للاستاذ حسن عبدالغني ابوغدة	الرحمة المهداة
٣٨	للدكتور عبدالله محمود شحاته	الوحدة الموضوعية للسورة
٤٤	للاستاذ السيد أحمد الخرنجي	مقومات المجتمع الاسلامي
٥٣	للدكتور/ محمد عبدالمنعم القيعي	النبي أولي بالمؤمنين
٥٨	للتحرير	مائدة القارئ
٦٠	للدكتور حسن فتح الباب	عبدالكريم الخطابي
٦٥	للدكتور عبدالفتاح الفاوي	المسلمون والتقدم العلمي
٧٠	للاستاذ علي القاضي	العقوبات في الاسلام
٩٦	للاستاذ محمد الدراجيلي	عطاء العلم والايمان
١٠٠	للاستاذ محمد عبدالله القولي	بشائر النور (قصيدة)
١٠٤	للاستاذ احمد العناني	معسكر القرآن
١٠٨	للاستاذ محمد حسن عبدالعزيز	في معنى النبي الامي
١١٣	للدكتور محمد الانور	رؤية في عصمة الانبياء
١٢٠	للاستاذ حسين القباني	امن الجنة تفرون (قصة)
١٢٤	للتحرير	باقلام القراء
١٢٦	للتحرير	بريد الوعي الاسلامي
١٢٨	للتحرير	مع صحافة العالم

